بين الأصالة والحداثة

نقد ومختارات

أحمد فرح عقيلان

مطبوعات نادي الطائف الأدبي
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م



بين الأصالة والحداثة

« نقدٌ ومختارات »



أحمد فرح عقيلان

مطبوعات نادي الطائف الأدبي الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله وأصلّي على رسوله ، وأهدي هذه الورقات إلى كلّ عشاق الأدب العربيّ الأصيل ، والفكر الإسلامي النبيل . وكلّ هدفي من كتابتها هو أن أوضح أن في أدبنا وبلاغتنا من كنوز الجمال ما يغنينا عن صغار التقليد الأعمى ، ومنزلة الاستجداء الرخيص .

هذا وقد اكثرت فيها من النماذج الطريفة وحمّلتها بروائع من الأشعار اللطيفة لعلمي أن عشاق الشعر قد برّح بهم الشوق إلى البلاغة المتعة والفصاحة الخصبة المرعة بعد أن خاب أملهم في وعود شعراء الحداثة ولم يروا منهم بعد رحلة الانتظار الطويل إلا سراباً يحسبه الظمآن ماءً .

منذ مّدة طويلة وإخواننا أهل الحداثة يقولون إن شعر الحداثة لا يزال ناشئاً ، وإذا كان الناس لم يتذوقوه بعد ، فذلك لأنه جديد والناس أعداء ما جهلوا وكنا معهم نتطلّع أن يتكّيف شعر الحداثة بحيث يفهمه الناس ويهضمونه ويعجبون به . ولكنْ حين يمضي نصف قرن من الزّمان ولا يستطيع القرّاء وعشاق الشعر أن يهضموا شعر الحداثة فإن هذا لا يعني إلا شيئاً واحداً وهو أنّ الحداثة بوضعها الحالي قد فشلت وأخفقت .

ولعلّ العيب لم يكن في الحداثة بمقدار ما كان في تطبيقها وذلك لأن أهل الحداثة من اللحظة الأُولى عبدوا نماذج الأجنبى وكفروا بروائع التراث وحملهم هذا على أن حطبوا من أدب الأجانب كلّ ضار واتخذوا من أعلام الأجانب قدوات لايُسألون عما يعملون . وقد كان من نتيجة جهودهم الحداثية أن أنسونا شعرنا الأصيل وتراثنا النبيل وأسلوبنا الأمثل وطلعوا على وسطنا الأدني بمسمّياتٍ ما هيمن أدبنا في شيء ومن اللحظة الأولى فرّقوا أدبهم وكانوا شيعاً فهذا برناسيٌّ وذلك إيماجيٌّ والثالث رومانسيٌّ والأخير رمزى وليزداد الأمر سوءاً جرّعونا الحداثة

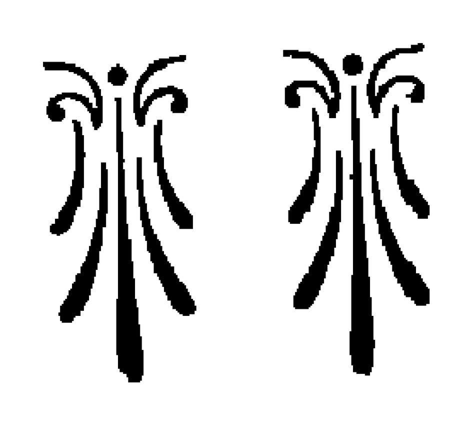
دونـها تنظيم للجـرُعـات فلم نهضم حداثتهم بعـد أن كظُّـوهـا بالـوثنيـات والشخصيات المشبوهة وإشارات الوثنية والخرافات اليونانية فكان أن حرمنا تلك الأنغـام الـوضيئـة الجميلة التى أطـربتنا زماناً طويلاً بروائع شعرنا الأصيل النبيل وعزَفت لنا عبر التاريخ على أوتار القلوب حين كان الشعر يشجينا ويسلّينا وكان يضحكُنا ويبكينا وكان يبعث طاقات الحماسة فينا وكان يوقد في شيبنا وشبابنا جذوة العزائم ولَهَب التضحيات .

والحقُّ أن ساحة الشعر الآن مضحكة مبكية وأن منصَّة الشعر الآن يحتلُّها دعاة الحـداثـة ويصيحون من على منبرها المقدّس بصخب تحاول أن نتجرعه ولكن لا نكاد نسيغُه .

وأغـرب الغـريب فى دعاة الحداثة أنهم أولعوا بشخصيات الأداب الغربِّية غير مبـالـين بسـوء سيرتهم في مجال الأخـلاق والعقيـدة والإيمان ، وحاولوا أن يفرضوا على مجتمعنـا احـترام أدبـاء الغـرب وهم يعلمون علماً يقينا مدى الشذوذ والكفر والإلحـاد والعنصـريـة التى غرق فيهـا الكثـير ون منهم . وإذا لمنـاهم على ذلك الاتجـاه قالـوا نحنُ لا ننظـر إلى أخـلاق الأديب ولكننا ننظر إلى تكامل الفنيّةِ في إنتـاجـه . وتنـاسى إخواننا أن أدب الأديب ما هو إلا لوحة لنفسيته وأن الفنَّ مرآة الفَنَّان وأنهم إن قدّسوا أعلام الأدب في الغرب فقد أشادوا ضمناً بدرعاتهم ودعوا شباب أمتنا إليها .

أخيراً أهدى إلى أدباء الأصالة هذه الطاقة الندية من أزاهير أشعارنا مع طاقة أخـرى من زنـابق حُبّى وفـاغيتـه . أما أدباء الحداثة فأهديهم دعاءً منى أن يطهر أقلامهم وقرائحهم من همزات الشياطين والملحدين .

المؤلف





الباب الأول

خلفيات حداثية



١ ـ حداثة أم تقليد

٢ ـ بدر شاكر السياب

٣ ـ تعدِّي الحدود

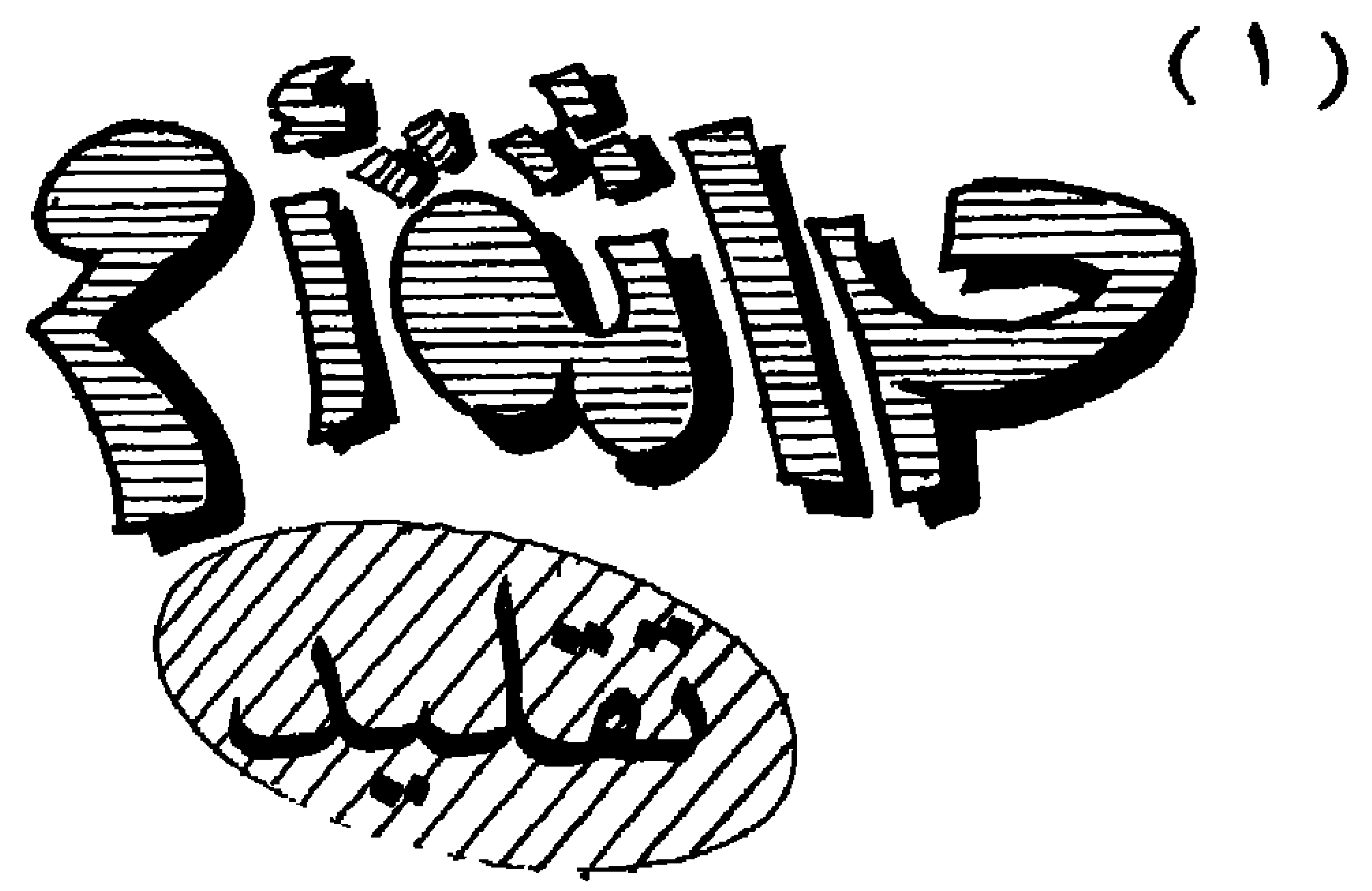
٤ ـ بين حجازي ودنقل

٥ ـ نماذج مشبوهة

٦ ـ تخريب النقد

٧ ـ حول البنيوية

(١)



أعترف مرَّة أُخرى أني كتبت كتابي (جناية الشعر الحّر) وأنا غاضبٌ منفعل يكاد يسطوني الألم والغضب أما أوراقُ هذا الكتاب فأكتبها وأنا في غاية الهدوء . بَيْد أن هذا الهدوء لن يمنعنى من الصراحة مهما كانت مُرَّة . وسأضع لُقراء الأدب وعشاقه النقط على الحروف مهما دفعنا من ثِمن الصراحة . ولسوف ننبذ المجاملة لأنها تعبيرُ ملَّطف للنفاق الجبان . وإذا كنت قد خسرت صداقات غالية حين ألَّفت (جناية الشعر الحّر) فما أرْبَحَ تلك الخسارة إذا كان جزاؤها عند ربنا شهادة الحق ومقعد الصدق .

الحداثة في مفهوم العقلاء هي الاستفادة من كلٍّ جديد مفيد يجُّد عند الأمم المتقدمة في الحضارة شرقيَّةً كانت أم غربَّية . وذلك بأن تقتبس الأمة أحسن الحديث ثم تضمُّهُ إلى تليدها المشرِّف طامحة إلى الكمال والرقي والأفضل . وهذا أمرٌ يقرُّه كلُّ عاقل ويسعى إليه كلُّ شريف . فما أجمل أن نقتبس من البلاد المتقدمة صناعاتهم الحديثة كصناعة الأسلحة وصناعة الأدوية وصناعة الأغذية . وما أجمل أن نقتبس من مجتمعات الغرب عادات النظام والنظافة ودقة المواعيد والتبكير إلى العمل لأن هذه كلَّها من أوامر ديننا ولأن فيها قوَّةً وازدهاراً لمجتمعنا ، وما أحسن أن نقتبس مما ينقصنا من الأمور النافعة في الأدب والاختراع وخدمة المجتمع ووحدة الصف تحت لواء الخدمة الصالحة للإنسانية .

ولكنَّ مفهوم الحداثة الآن لم يعد يعني إثراء الصناعة والمجتمع والأدب وإنما هبط مضمون كلمة الحداثة لتنحصر في حيِّز الشعر ويصبح معناها : أن يعمد

الشعـراء إلى أدب الغـرب فيتخـذوه منهجاً وقدوة ونموذجا ومدرسة . وفي الوقت نفسـه أن يعمـدوا إلى شعـرنا العربي فيهدموا عموده ويمزّقوا موسيقاه ويتجاهلوا عناصره الفنية ومناهجه الأخلاقية وأسرار بلاغته ودلائل إعجازه .

وهـذه هي الحـداثـة التى يتبنّـاها الآن معظم دعاة الحداثة وهي التى عقّدَت نفـوسهم إزاء تراثنـا المـاجـد وأدبنـا الخـالـد فصـاروا إذا ذكر شعرنا ولغتنا ونُحونا وبلاغتنا اشمأزت قلوبهم وإذ ذكر أي أدب ماجن أو أديب شرقيٍّ مشبوه إذا هم يستبشرون .

وإذا قلت إن شعـر الحـداثة حتى الآن لم يستطـع أن يشق طريقهُ إلى القلوب وأن جماهير القُرّاء والمستمعين لم يتقبلوه فانيّ لا أسوق الكلام جُزافاً ولا أرجفُ به إرجـافـاً ولكني أورد بين يدي حكمي هذا نماذج لأقطـاب شعراء الحداثة تثبت أن شعـر الحـداثـة في معظمه لا يمتع الأذواق السليمة ولا الأخلاق المستقيمة . وأنّه أساء إلى أدبنا وماضينا الأدبي الفاخر حين أضلّنا عن أدبنا الأصيل ، وعجز عن أن يتحفنا البديل ، فوقعنا عندئذ كالغراب الذي يحاول تقليد القطاة فأضلَّ مشيته وعجـز عن مشيتهـا ، لا نحنُ حافظنـا على أصـالتنـا ولا نحنُ تفـاعلنـا مع تجديدهم . وإلى القارىء هذا النموذج من شعر الحداثة برهاناً على ما نقول :

لقـد كان من أعظم شعـراء الحـداثـة الـدكتور خليل الحاوى كان قوي الموهبة غزير المادّه متين اللغة واسع الاطلاع في الأدب العربي قديمه وحديثه وكان طويل البـاع في مجال النقـد . وسأغض النظـر عن كفـره وإلحـاده وموته منتحراً على أثر موجة يأسٍ من رحمة الله لأن إنتاجه هو الذي يعنيني أما سلوكه فمردُّه فيه إلى ربّه الـذى لا يظلم مثقـال ذرَّة . وقـد كان لخليـل حاوى زميلٌ ونظير يشابهه في مبدئه وسلوكـه وسعـة اطـلاعـه اللغوى . كان مثله من الحزب القومي السوري المشبوه شأنـه في ذلـك شأنُ جميع الحداثيين الذين التفوا حول مجلة شعر إنّه أدونيس لكن أدونيس هو أفقـه شعـراء الحـداثة في الأدب العربي واللغة العربيّة ولهذا فإني حين أورد النـماذج من شعـر حاوى وأدونيس فإنى أنقضُ على أثنـين من أعظم روّاد الحـداثـة في الشعـر حتى لا يقـال إنى أختـار النـماذج لضعـاف الشعراء وأن هذه النماذج لا تمثل شعر الحداثة .

هذه قصيدة من أشهر شعر الحاوى جعل عنوانها (مع الغجر)

عاد من عُرْس الغَجرْ
دفعةٌ في وجهه
وعلى قمصانه الف ثائر
موجة واحدة في دمه
في زوغة الشمس،
وحمّى المعدن المصهور
في البركان في وهج الثمار
موجة تغْزل في المرج فراشات
وتغفو في خوابى الكرْم
تغفوا في قوارير النهار
موجَةٌ نوّرها في دمه
عُرْسُ الغجرْ



وكنت سأكمــل القصيــدة لكنني سئمت فاكتفيت بهذا النصف الأول . نعم لقـد سئمت لأني لا أفهم ولم استطـع أن أفهم شيئـاً . وإذا كان الـدكتـور خليـل حاوى لم يستطـع أن يُفْهِمَ معلّماً للأدب العـربي دّرسه أربعاً وثلاثين سنة فلمن إذن يكتب الحاوى شعره .

وأعـود لأتسـاءَل ما موضـوع هذا الشعر وهو لا غَزَلٌ ولا وصف ولا حكمة ولا وطنيـة وإني أتحـدّى أن أعرْض هذه القصيدة على عدد من شعراء الحداثة وأجزم أنهم لن يتفقوا على رأى في فهمها وتفسيرها .

أمـا النمـوذج الثـاني فقد اقتبسته خاطفاً قصيراً من شعر أدونيس وتعّمدت ألاّ أطيل النمَوذج حتى لا أزعج القُرّاء بكلام لا معنى له ولا هدَف ولا موضوع .

ثديُ النملَهْ
يُفرزَ حليبهْ
ويغسلُ الإسكندرْ
الفرسُ جهاتٌ أربع
ورغيفٌ واحد
والطريق كالبيضهْ
لا بداية له .



أليس هذا الشعر استهانـة بعقول القُرّاء وبوعي الأمَّه أنا أجزمُ أن أدونيس ما نظم هذا الشعر إلا لاعتقاده أن الوسط الأدبي في أمته تافه هزيلٌ إمّعة .

ومن حقي أن أتساءَل : إذا كان أساتـذة الأدب لا يفهمـون شعـر الحـاوى وأدونيس فهل يعني هذا أن أدونيس والحاوى صنف متّميزٌ فوق مستوى البشر أم أنـه هبـط من مروج عبقـر إن أدونيس ليس شيئاً من ذلـك لكنه صاحبُ مذهب هدام وعقيـدة فينيقيـة مشبـوهـة وهو إنما يطلع على الناس بمثل هذا الشعر لينّفذ مؤامرة على لغة القرآن وليقضي حاجةً في نفسه من حوائج الشيطان ولينفس عن وترحشاه في شغاف ضميره معبوده أنطون سعاده .





لا أغـالي إذا قلت إنّ الأستـاذ بدر شاكر السَّياب غفر الله له كان أعظم شعراء الحـداثـة طاقـةً شعرِّية ، وأنه احتل بين شعراء الحداثة مركزاً لم يتبوأه غيره وأحرز شهـرةً لم يحلم بها سواه وحسبـك من شهـرتـه في الـوسـط الأدبي العربي أن أحد الـدكـاتـرة وهـو الـدكتور إحسان عباس نال جائزة الملك فيصل في الأدب تقديراً لبحث كتبه عن بدر شاكر السَّياب وأن الدكتور عيسى بلاطه نال شهادة الدكتوراه من لنـدن ببحث كتبـه عن بدر شاكـر السيـاب والحقّ أن بدر كان ذا طاقة شعرية هائلة جعلته أعمق شعراء الحداثة تجربة ذاتية وأفقههـم لقواعد اللغة وأصولها ولا غرو فقـد جمع بين المـوهبـة الأصيلة والدراسة العميقة والذكاء العجيب . وكلمة حقّ أن شعـر بدر كان ملتـزمـاً بالموسيقى الأصيلة ولو بتفعيلة منتظمة لا ترى فيها عوجاً ولا خطأً . لقد كان معلّماً للغة العربية شأن زميلته التى أحبها الشاعرة لميعة عباس عمارة ومن ثم كان شعر بدر خالياً من أخطاء اللغة وضحالة الفكر .

وقد آثرت أن أتناول أبا غيلان بالنقد حتى لا يقول قائل إني أحكم على شعر الحداثة من خلال ضعاف الشعراء ولكي اكشف لجمهور قُرَّاء الأدب خلفية زعيم عظيم من زعماء الحداثة والخطورةَ القاتلةَ التى تكمن في شعره والتى كان لها أثرها في تسميم العقول والتشكيك في العقيدة .

ومعاذ الله أن أتحامل على بدر بغير مبرر فالتحامل عدوُّ الإنصاف . واعترف للقُـرَّاء أنني كنت في صغـري أجـالس الشيـوعيـين في القـدس وأفكـر في أعتناق

الشيوعية لأغيظ الانجليز وكنت من أشد الناس تقديراً لشعر بدر ورثاءً لمأساته حين أُنهار أمام المرض العضال منذ عام الف وتسعمائة وستين فأرسلها قصائد باكية تقطع نياط القلوب . كان يخاطب بقصائده النائحة زوجته إقبال فيُودع قصائدهُ عصارة روحه وخصوصاً حين يذكر ما يخشاه من يُتْم غيلان وأختيه وثكل أرملته أمهما . ومن ذا الذى لا يحزن حين يستمع قصائد وداعية ينظمها شاعر ينتظر الموت في أي لحظة ليترك للضياع ثلاثة أيتام وزوجة مخلصة . إن الإنسان أخو الإنسان والبشرية عائلة وبدرٌ بعد هذا وقبله عَربيٌّ ومسلم إن شاء الله .

لكنَ بدْراً رغم مأساته كان خطير الشعر لأنه نظم أروع أعماله الأدبيَّة وهو في قمَّة ولائه للشيوعية ، ولهذا جاء شعره في بعض مواطنه سُمّاً زعافاً يسري في أجساد قرّائه . وكان مما يكرِّهني في بدر أنه كان يظهر إعجاباً شديداً بالشعراء الذين اشتهروا بالشذوذ والدعارة من أمثال بودلير وفيرلين مع أنَّ بودلير لُقب بالشاعر الرجيم لشدة استغراقه في المفارقات المخزية .

وثمة ناحية أخرى من خطورة شعر بدر وضرره وهى شدة إغراقه في الإشارات الوثنية واستدعاء الشخصيات التراثية الكافرة في شعره . وإنك لو طالعت شعر بدر وأعماله لوجدته من أكثر الشعراء تلميحات كافرة وثنية . وقد تعقب بعض الشعراء بدراً في هذا الأمر فأدهشهم إيغاله المريب في استدعاء الشخصيات الوثنية مثل عشتار وبعل وسيزيف ونرسيس وميدوزا وكونغاي وأولب وأتيس وألعازر وزيوس وأدونيس وسربروس وأوديب وجوكست وأفروديت وهلين وأبولو وأورفيوس وإكار وعوليس وبرشعون وأخيل وألسيرين وكلها شخصيات لا تخرج عن وثن أو بطلٍ لخرافةٍ .

وقد تسمع من البعض أن بدراً قد تاب عن الشيوعية وتحوَّل قوميًّا ، وتاب مرّة أخرى حين رأى الموت في مرضه فنظم دواوينه المتأخرة أمام باب الله) و(سفْرَ أيّوب) و(المعتد الغريق) وهي دواوين لا تخلو من توجُّهات إلى الله . والحقُّ أن شعرَ بدر وهو قوميٌّ لا يقلُّ خطورة عن شعره وهو شيوعي لأن القومية العربيَّة بُعثت في العصر الحديث بشكل ممسوخ يفصل العروبة عن الإسلام وحسبك أن

واضعي أسس القومية العربيَّة الحديثة معظمهم غير مسلمين وأنهم كانوا يتحاشون ذكر محمد ﷺ وذكر الإسلام حتى لا يكسروا شعور النصارى العرب مع أن العروبة إذا جردت من الإسلام فقدت شرفها وتاريخها وأمجادها ومفاخرها وأصبحت جاهلية ونعراتٍ وادعاءاتٍ جوفاء .

وبدرٌ غفر الله له كان يؤمن بالقومية العربِّية بشكلها الممسوخ ومن ثم فقد كان تحوُّل بدر من الشيوعية الى القومية تحوُّلاً عن الرَّمضاء إلى النار .

أما توبته التى انبعثت من الآم المرض ومن توقع الموت فهى توبة على هيئة صراخ لا يخلو من استنكار وتساؤ ل وشكوك تسمعها على شكل جؤار متفجر في دواوينه التى ذكرتها ولنستمع إلى بدر في بعض قصائد توبته والخطابُ في القصيدة موجهٌ إلى الله جلّ جلاله :

منطرحاً أمام بابك الكبيرْ
أصرخ في الظلام أستجيرْ
يا راعيَ النّمال في الرّمالْ
وسامعَ الحصاةِ في قرارة الغديرْ
أصيح كالرعود في مغارة الجبالْ
كآهة الهجيرْ
أتسمعُ النداء ؟؟!! يا بوركتَ تسمعْ ؟
هل تجيب إن سمعت ؟!
يا صائد الرجالْ !!
وساحقَ النساءْ !!
يا مفجِّعْ !!!
منطرحاً أمام بابك الكبير
أحسُّ بإنكسارة الظنون في الضمير
أثورُ أغضبْ
وهل يثور في حماك مذنبٌ ؟!!

ومن الـواضـح أن القصيدة صيحة استنكار وليست هتافة استغفار . نعوذ بالله من تقلُّبِ القلوب . إنَّ قصـائـد الغـزل في شعر بدر في نظري أشرفُ وأسمى من هذه القصيــدة وأمثـالهـا . لأن غزل بدر لا يزيغ القلب كما تفعـل أمثـال هذه القصيـدة ولكي ننصف شعـر بدر المـوهـوب دَعـونا نستمع إلى لقطتين من شعره أولاهما وصيته لزوجته إقبال . والأخرى حديث عن ابنه غيلان وهما من شعره في أواخر أيامه والحقُّ أنهما من روائع الشعر الإنسانى :

إقبال يازوجتى الحبيبه
لا تعذليني ما المنايا بيدي
ولست لو نجوت بالمخلَّدِ
كوني لغيلان رضاً وطيَبهْ
كوني له أباً وأمًّا وارحمي نحيبَهْ
وعلميه أنْ يذيل القلبَ
للفقير واليتيم
وعلميه . . . .

أمّا المقطوعة الثانيه فهي قوله يَذْكر يُتْمَ غَيْلان

أسمعه أبكي يناديني
في ليليَ المستوحد القارسْ
يدعو . . . .
أبي كيف تخلِّينى
وحدى بلا حارسْ
غيلانُ لم أهجركَ عن قصدِ
الداء يا غيلان أقصاني

حقًّـا أنَّ هذا شعــرُ يستحقُّ الخلود ولكم تمنيت أنَّ بدراًسخَّر طاقتـه الشعـرَّيـة المبـدعـه في مثـل هذه الإيقاعات الإنسانية وفي نشر النزعات الأخلاقية إذن لخدم بدرٌ دينه وأمته وتمتع بنجاح عجيب وجمهور مستجيب . وذلك لأن بدراً كان يصدُر في شعره عن طوفان عاطفي جارف في شكواه وفي غزله . كم كان غزلُ بدر يعجبنا

وخصوصاً وهو يذكر حبائب له معروفات : إحداهُن إحدى قريباته (وفيقه) تلك التي أحبّها فلم تلبث أن تزوجت ثم توفيت . أما الثانية فحبيبته (هالة) وهي فتاة ريفية رقيقة كانت ترعى غنمها على نهر الخصيب قريباً من بيتهم . وما أجمل غزله حين كان يتغزل بهالة فيمزج الجمال بالطبيعة في فَنّيّةٍ منقطعة النظير . أما ثالثة حبائبه فهي ابنة الجلبى التى نظم فيها مجموعة رائعة سماها (شناشيل ابنة الجلبى) وابنة الجلبى فتاة أرستقراطية كان أبوها ملّاكا كبيراً وكان عمٌّ بدر يشرف على أملاك أبيها . وكان لقصرها شناشيل وهي شبابيك من الفسيفساء .

نعم أن الأمانة تقتضي أن أعترف أن شعر بدر كان ممتعاً في موضوعات الغزل والشكوى ولكن حين كان يخوض في القضايا الاجتماعية والسياسية تصريحاً أو تلميحاً أو رمزاً هنالك تراه منحرف الاتجاه مستهجن العبارة جريئاً على ربه ودينه كما تقرأ في هذا النموذج من قصيدته (مدينة السندباد) من ديوانه (أنشودة المطر) وهي قصيدة تصوِّر الفساد الذى استشرى في عهد عبدالكريم قاسم وتلاحظ أن أسلوب القصيدة قد جرف بطوفانه الانفعالي حدود الأدب بين بدر وبين ربّه وبين الرسل الكرام .

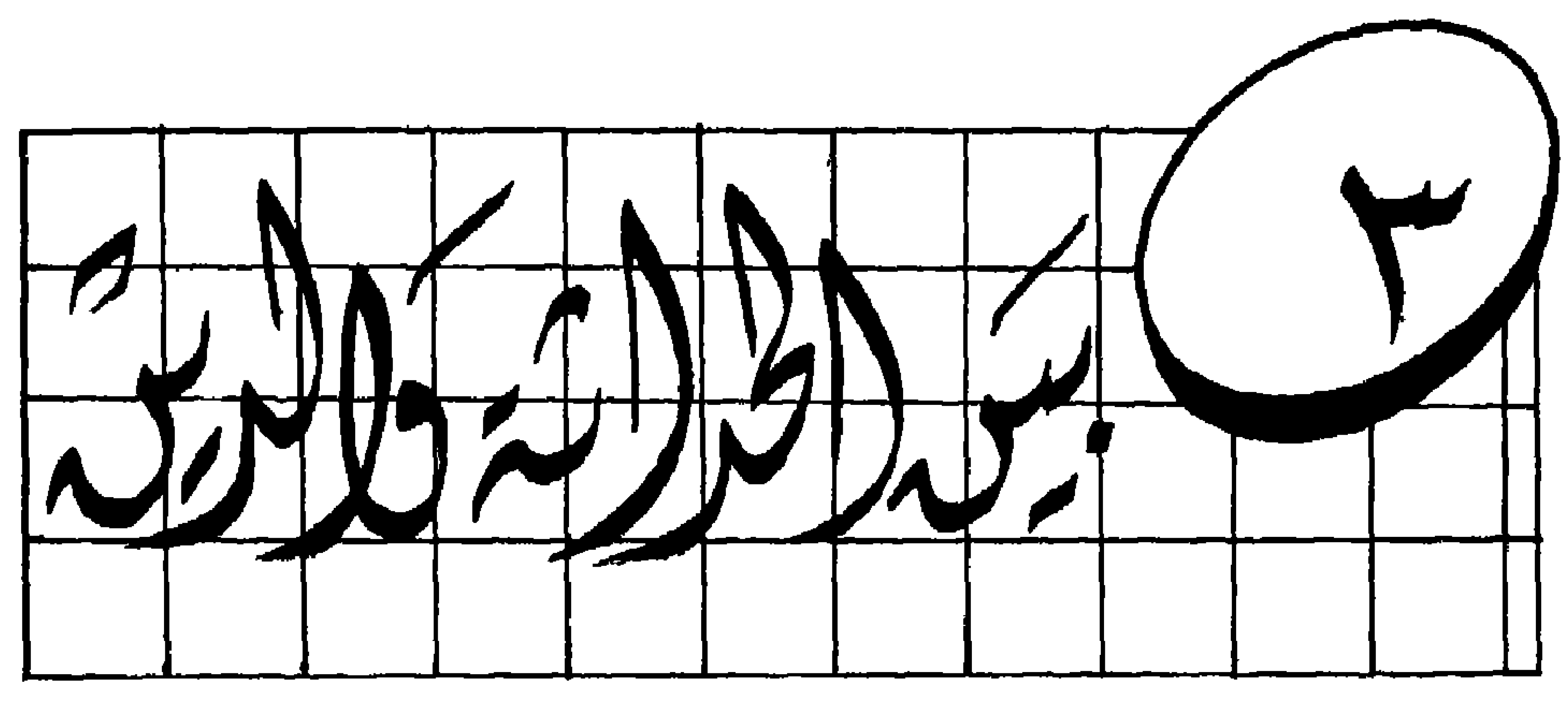
محمّدُ اليتيم أحرقوه
فالسماءْ
يضيء من حريقهْ
وفارت الدماءُ من يديه من عيونهْ
وأُحْرِقَ الإلهُ في جفونه (أعوذ بالله)
محمّدُ النبيُّ في حراءَ قيّدوهْ
فَسُمِّر النهارُ حيثُ سمَّروهْ
غداً سيُصلب المسيح في العراق
ستأكلُ الكلابُ من دم البُراق

مع اعترافنا بالطوفان الهائج في عاطفة الشاعر حول ما كان العراق يقاسيه من مظالم لكنّ هذا الأسلوب خطير لأنه تجاوزُ لحدود الأدب في الحديث عن رسول الله ﷺ وعن عيسى عليه السَّلام وعن البراق مركب الأنبياء الكرام .

إن على القارىء أن يحذر مثل هذا الأسلوب لأنه جراءة آثمة وخروج على أساليب الأدب التى تعوَّد أن يأخذ بها الأدباء حين يتحدَّثون عن الرُّسل الكرام والحقُّ أن كثيرين من دعاة الحداثة وبخاصة المسلمون منهم ترى في تعبيرهم جرأة على الله والإسلام وهي جرأة لا تفسير لها إلا الاستهانة بالدين .

وإذا قبلنا من شعر بدر دواوينه الثلاثة الأخيرة التى نظمها والمرض يهدّ به فكيف نقبل منه دواوينه الأربعة التى نظمها وهو أشد حماساً للشيوعية من لينين ألا وهى (حفار القبور) ، (والمومس العمياء) ، (وأنشودة المطر) ، (والأسلحة والأطفال) .





لم يكن بدر وحـده هو الجـرىء على مقـام ربـه ونبـوَّة رسـوله فقد تردى في هذا الاتجـاه الكـافـر كثـير ون من دعـاة الحداثة وروّاد التجديد . ولا مبر ر أبداً لتلك الجـراءة الظـالمـة ولا علة مفهومةً لها سوى أن روّاد الحداثة الذين نعرفهم كان لهم ماضٍ معـروف وحَسْبُـك أن تعلم أن معظم روّاد الحداثة الذين التفوا حول مجلة (شعر) كانوا من الحزب القوميّ السورى الذى أنشأه أنطون سعادة وجعل شعاره أن سوريَّـا ذات قوميـة فينيقيـة لا علاقـة لها بالعـرب وكان من بين أولئـك الرواد يوسف الخـال ومحمـد المـاغـوط وأنسي الحـاج وتـوفيق صـايغ وجبرا خليل جبرا وشوقي أبو شقرا وخليل حاوى وشيخهم أدونيس الذى مدح أنطون سعادة بديوان شعـر كامـل وغـيرّ اسمـه بنـاءً على رغبـة أنطون سعادة من علي أحمد سعيد إلى أدونيس إله الخصب عند الفينيقين كما غيرّ دينه من العلوية إلى النصرانية لإرضاء الرجل نفسه . (هذا وسوف أعود إلى هذا الموضوع وأعني انحراف العقيدة عند روّاد الحـداثـه) حينـما أعـرض إلى مذهـب نقـدي جديـد اسمـه (البنيوية) التى يستغرقُ فيها في هذه الأيّام الأديب السعودى الدكتـورعبدالله الغذامى بحسن نيّة .

وكـبر هـان على انحـراف العقيـدة عنـد الكثير ين من دعاة الحداثة أورد هذا النمـوذج العجيب لشـاعـر منهم اسمـه عبـدُه بدوي . عنـوان القصيـدة (آداب نوفمـبر) ومـوضـوعها دعوة سافرة إلى الكفر والاستمتاع بحلاوة المعصية وأنوارها (كـما يزعـم الـرَّجـل) القصيدة إشادة بأخلاق الابن الكافر لسيدنا نوح حين ناداه أبوهُ ﴿ يا بنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴾ فأبى إلا الكفر حتى حال الموج

بينه وبين أبيه فكان من المغرقين . هذا الكافر العاصي لوالده رسول الله هو البطل النموذج لعبده بدوي :

لا تصرخ يا ربَّان الفُلكِ المقلعْ (إركب معنا)
لا تخفق من حولي بجناح الرحمةْ
فوحيداً ثم وحيداً سوف أظَلُّ على القِّمةْ
مهما صعِدتْ في روحي أقدامُ الطوفان
ما أشهى أن يبدأ إنسانٌ رحلته في هذا العالم
ملتفًّا بالعصيانْ
ومضيئاً بالعصيانْ

أرأيت أيَّ دعـوة مظلمـةٍ ظالمـة يتبنَّاها هذا الشاعر الغريب . إنها دعوة سافرة إلى عصيان الرُّسل وإشادةٌ بالعصيان وزَعْمٌ فظيع بأن للعصيان أنواراً . نعوذ بالله من همزات الشياطين . وإغواء المضلّين والملحدين .

ولقـد كان من أجـرأ الشعـراء على ربنـا جلّ جلالـه وعلى رسـولنا ﷺ شاعرٌ حداثي يعتبرونه في مصر شيخاً لشعراء الحداثة في مصر إنه صلاح عبـــدالصّبور ذلـك الشـاعـر الـذى رجـونـا منه خيراً كثيراً حين نشأ في بلده الزقازيق ونظم من فيض فطرته قصائد مهذبة ملتزمة لكنه ما لبث أن اصطادته الحبائل المردية فتحوَّل عن الأصالة شيئاً فشيئاً حتى تزعّم حركة الانفلات الأخلاقي في الشعر . وما أحبُّ أن أكثر من نماذج عبدالصبور في الجراءة على الله ولكني أحيل القارىء إلى ديوانه التعس ليقرأ قصيدته (الإله الصغير) ص ٤٧ من المجموعة ليرى أن عبدالصبور يتجهم على الذات الإلهيَّة ويعرّض بأسماء الله الحُسنى في سخرية وإذا تحدَّث عن حكمة الله الباهرة القاهرة البالغة استعمل اسلوب الاستهزاء وإذا عرض لموضوع المرأة وعفافها خرج على اللياقة وغرق في السوقية .

وأخـــيراً رأينـــا صلاح عبـــدالصبـور يتقمص شخصيـة الحجـاج كما تقمص شخصيـــة أدونيس من قبله شخصيـــة مهيـــار الـــديلمي الشيعيّ . وإذا صلاح عبدالصبور يشيد برجل صوفي خرج عن طوره حين ادعى أنه أفضل من الأنبياء

وقال فيها يروى عنه (قدمي هذه على رقبة كلِّ نبي) فكان أن أدانه مجلس علماء المسلمين وحكم عليه بالإعدام بعد أن سجّلوا عليه من كلامه ما يدينه وحاولوا معه أن يتوب ويستغفر فَظلَّ مُصِرًّا واستحق الإعدام ضرباً بالسيف .

على أنني ما رأيت أشدَّ جُرأة في التهكم على الدين والأنبياء والمُثل العليا من أدونيس إنه في هذا الأمر طاغوت . وقد أوردت نبذة في كتابي (جناية الشعر الحرّ) عن ماضيه الحافل بالجريمة وما أريد أن أعيد نماذج شعره الخارج عن اللياقة وكل التزام دينى أو أخلاقى أو وطني .

والغريب أن عدداً من شعراء الشباب دَعوْني إلى نادي الرياض الأدبي ليناقشوني في ما ورد في كتاب (جناية الشعر الحرّ) فصرفوا الليلة في محاولة لتوجيه اللوم إليَّ لأني (أرفض فساد الأخلاق في الشعر والشعراء) وكانت وجهة نظرهم : أن العمل الأدبي عند نقده لا يجوز أن ينظر إلى مضمونه إذا اشتمل على دعوات انحلال أو هدم أو فساد ويكفي أن يدرس على ضوء تكامل عناصر فنيَّة معينة فيه . فأبو نواس في خمريّاته ومجونه وتهتكه قد يكون أعظم في مقياس نقدهم من أي شاعر ملتزم بالأخلاق والبناء والدين .

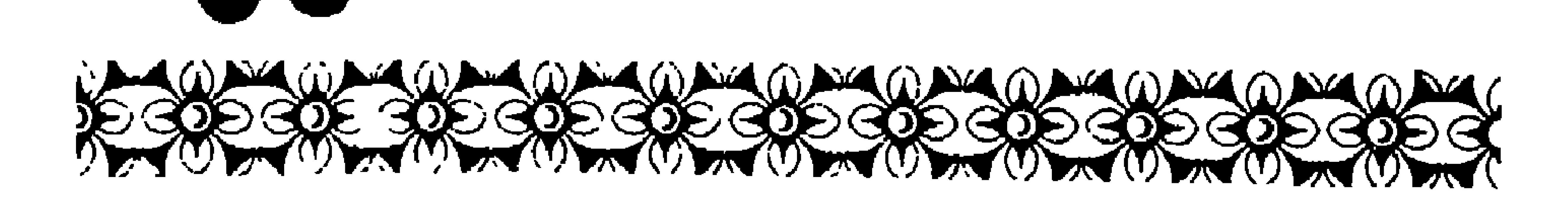
ودهشت جدًّا أن يتناسى أولئك الشباب أن أمتنا قد ديست كرامتها ومقدّساتها تحت سنابك الكفر الصليبى والحقد اليهودى وأننا في هذه الحال لسنا في حاجة إلى دعاة الهدم بقدر ما نحنُ في أمسّ الحاجة إلى دعاة الجهاد والتضحيات والأخلاق لنمسح هزائمنا الأخلاقية بانتفاضة إيمانية نؤدّب بها الغاصبين المجرمين .

على أنَّ هذا لا يعني أن نرفض أدب الأديب إذا كان هذا الأديب سيّء السيرة فالحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنّى وجدها والله جلّ جلاله ينصر دينه بالبرّ والفاجر فإذا صدرت عن أبي نواس حكمة خالدة وتجربة فاضلة فمرحباً بها يقول . وما زال يعجبني الكثير من وطنيات نزار على الرغم من عدم ارتياحى للكثير من شعره وكم رددت قول نزار إذ يخاطب أعداء الأمة :

لا تسْكروا بالنصرْ
إذا قتلتم خالداً
فسوف يأتي عمرْو
وإن سحقتم زهرةً
فلن يموت العِطرْ



●●





أحمد عبد المعطي حجازي من رواد التجديد والحداثة وأمل دُنقُل أيضاً من شعراء الحداثة.ومن الشباب الذين اصطفاهم لويس عوض ليحرروا في الأهرام .

وقد قرأت منذ أسابيع مقالةً لأحمد عبدالمعطي حجازي عنوانها (رسالة إلى أمل دنقل بعد موته) كان موضوع الرسالة (السخرية عند أمل دنقل) وأحمد عبدالمعطي حجازي يجيد التنقيب في الدواوين ولهذا توقعت أن أقرأ أروع روائع السخرية في النماذج التى سيختارها حجازي لدُنقل وفِعْلاً رأيت النموجين اللذين اختارهما حجازى وهما من أجود شعر دنقل ولهذا رأيت أن أعرض النموذجين على القرَّاء ليعرفوا بالبرهان أيَّ شاعر كان دنقل وأيُّ ناقد هو حجازي .

النموذج الأول الذى أورده حجازي لدنقل :

كان ترام الرَّملْ
منبعجاً كامرأةٍ في أُخريات الحملْ
وكنتُ في الشارعْ
أرى شتاء الغضبِ السّاطعْ
يكتسح الأوراق والمعاطفا
وكانت الأحجار في سكونها الناصعْ
مغسولة بالمطر الذى توقّفا

النموذج الثاني

في دَقَّةِ بائعة الألبانْ .
تتوقَّفُ في فكّيْ
فُرشاة الأسنانْ

حبيبتى في لحظة الظلامْ
لحظةِ التوهّجِ العَذْبهْ
تصبحُ بين ساعديّ جُثَّةً رطبهْ
في الشارع
أتلاقى في ضوء الصُّبح
بظلي الفارغْ
نتصافحُ بالأقدامْ
مَن يقتل في الشارع أطفالي المساكين
لكي لا يصبحوا في الغد شحّادينْ
يستجدون أصحابَ الدكاكينْ
وَينْسلُّون في الليلْ
يبيعون الجعارينْ
لأفواج الغُزاة السّائحين

والآن وقد أنتهى النموذجان من شعر محمد أمل دنقل رحمه الله أسألُ القُرّاء أليس هذان النموذجان دليلين على حجم الخسارة الفادحة التى حلّت بشعرنا من أمثال حجازي ودنقل ومن لفّ لفهما . إنّ أوّل نظرة إلى النموذجين تكشف أنها عيّنة صادقه للشعر الردىء السّاقط في مستواه الشكليّ والمضموني .

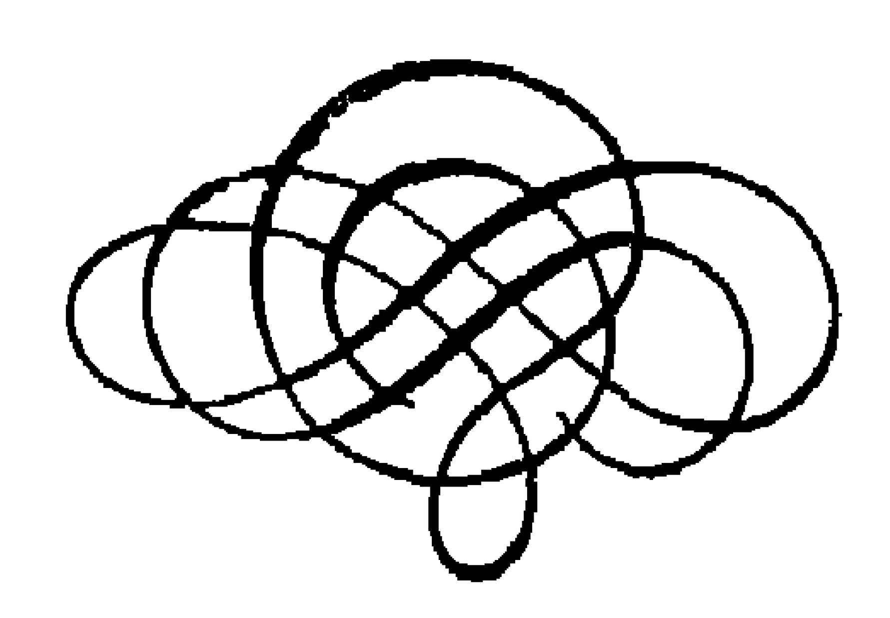
وعلى ذكر محمد أملْ دنقل رحمه الله فقد استغربت حتى بكيتُ وضحكتُ ، حين رأيت بعض الشعراء السعوديين ينشرون في دنقل روائع الرّثاء ويرسمون منه ومن أمثاله نماذَج للوطنيه يغرون الشباب المسلم في الديار المقدّسة باحتذائها وكنت متاكدا أنهم لا يعرفون الرَّجُلَ غفر الله له . وهم إنما يرثونه على قاعدة (خالف تعرف) .

ولكي يعرف أولئك الشعراء في ديارنا المقدسة جريرتهم في رثاء الرَّجل ووصفه بالشهيد أذكر لهم هذه المعلومات عن أمل دنقل وهي معلومات عارف خبير ينصف الموتى والأحياء .

وقد يقول قائل (قال رسول الله ﷺ : اذكروا محاسن موتاكم) فأقول صدق رسول الله ولكن حين يقدِّم أمل دنقل نموذجاً للشباب المسلم لاحتذائه يصبح السكوت جريمة ويكون كتمان الحقيقة جناية .

لقد كان محمد أمل دنقل غفر الله لنا وله ذا حياة عابثة رخيصة مستهترة نشأ نشأةً عجيبة تقوم على التسكع والصعلكة فكان قلّما يجلس في بيته وقد عرفه كلُّ من خالطه بالانفلات الأخلاقي والفوضى الجنسيَّة ولما تزوّج من سيدة كريمة وفيَّة ظنَّ الناس أنه سيملك نصف دينه ويغيِّر مسيرةَ أخلاقه لكنه سامحه الله أدخل تلك الزوجة النموذجية في حبال شقوته وظل على فوضاه وصعلكته وكنتيجة لإغراقه في الحرام مما لا أذكره أصيب بأمراض تناسلية ظلت تتطور معه حتى تحوَّلت إلى ما يشبه السّرطان في عضوه الحساس فلزم المستشفيات وعولج في الشرق والغرب واهتم به الأستاذ لويس عوض الذى كان ومازال صدراً حنوناً لكلّ من يستهين بالإسلام . لكن قضاء الله لا يُرَدّ فاجريت لأمل دنقل عملية استئوصل فيها عضو الرجولة لكن ذلك لم يوقف سريان الداء فتوفى من جرّاء مرضه غفر الله لنا وله ولجميع عصاة المسلمين أهل التوحيد .

أفبعد هذا يا أحفاد الفاتحين من أبناء الجزيرة الماجدة المباركة ترثون دُنقلاً وترسمونه لأبناء الديار المقدسة مثالاً ليحتذوا أخلاقه . أين أمانة الحرف التى حملها أهل القرائح والمواهب والأقلام أرانا والله قد مرَّغناها في أوحالٍ نتنةٍ من الضلالات العمياء .





من الأمـور المعـروفـة المشـاهـدة أنّ الغَـرْب الحاقد والشيوعيَّة الملحدة أكرمونا إكـرامـاً عجيبـاً فيـما يختص بالأدب فقـد فتحـوا لنـا أبـواب أدبهم وأدبائهم على مصاريعها ننهل منها مانشاء وَنْقتبس من مذاهبها الأدبيَّة والنقدية ما نريد .

لكنهم في الوقت نفسه ضَنُّوا علينا بعلمهم وعلمائهم وتكنولوجيتهم فقطَّروا في حلوقنـا منهـا بالقطَارة ونصبوا بيننا وبين علمائهم الحواجز والسُّدود لنظل أميّـن في حقـل العلم والصنـاعـة والتكنـولـوجيا ولنصبح فطاحل في الجدل البيزنطي حول المذاهب المصطرعة في الأدب والشخصيات الملحدة في الأدباء .

وإنـك لتسأل عابـر السبيـل في الأدب عن أدبـاء الغـرب واتجاهاتهم فيجيبك إجـابـة يستحق عليهـا مائـة في المائة في حين تسألُه عن علماء أوروبا واختراعاتهم ومختبراتهم المحصَّنة فتجد معظم علمائنا يجهلون ذلك جَهْلاً مطبقاً .

لقـد أراد الغـرب بهذه المـؤامـرة أن يجعلنـا أربـاب كلام وجدل لا رجال علم وعمل الا تراه في الوقت نفسه أغرق اليهود في العلم والتكنولوجيا وأغرقَنا نحن في أخلاق أدبائه الذين قـل أنْ نجا أحدهم من الإلحاد والشذوذ والانحلال .

فكان من الطبيعي آن كرّس الصهاينة جهودهم للعلم والصناعة وضيّع العرب جهـودَهـم في الجـدل والانقسـام والتكسُّر الاجتماعي فلما بلغ القزم اليهودى أشُدَّه وتحـوَّل عمـلاقـاً وتحوَّل العملاق العربي قَزَما أوقدوا بين العرب واليهود نار حرب كانت في الحقيقة معارك بين قنابل الكلام وبين الأسلحة الحديثة المتطورة .

ولكي يتضح لأدباء الحداثة حجم المؤامرة أعرضُ عليهم علماً من أعلام الفكر والأدب الغربي ورَّده الغرب إلينا وأغرانا باحتذاء نموذجه حتى أصبح له في الشرق الإسلامي دعاة يطبلون له ويزمّرون إنه جون بول سارتر المفكر الفرنسي صاحب نظرية الوجودية .

(والوجودية مذهبٌ اجتماعي قذر مُخَرِّب يَقوم على (ألاّ يهتم الإنسان إلا بما يشبع رغائب وجوده وذاتّيته وألاّ يُصغي لأيٍّ ناصح يأمره بأن يهذب غرائزه لأن ذلك معناه تدخل في حرّيته المطلقة . ومن هذا المنطلق فإن على الأنسان أن يكفر بكل تقاليد الأخلاق وأوامر الدين والإيمان بالله لأن كلَّ هذه تعتبر تدخُّلاً في حرية الإنسان) .

وسارتر الذى يحترمه كثير من أدباء الحداثة كان صهيونياً متحمساً للصهيونية حتى لقد قاد مظاهرة تأييد لليهود حينما احتلُّوا القدس . وبالمناسبة فقد عاش سارتر أعْزَب مكتفياً بسكرتيرته اليهودية .

هذا السارتر يقول في كتابه (الوجودية مذهب إنسانيّ)

(أن يكون الله موجوداً أو لا يكون ، أمرٌ لا شأن له عندي . على العكس . الله موجود ولكنَّ المهمَّ هو أن أصفع وجوده (استغفر الله) بحرِّيتي الكاملة) شُلَّ لسانه ولُعن بما قال وأستغفر الله لنقل كفره إنَّ هذه العبارة المجرمة تلخص المذهب المجرم الذى ابتدعه سارتر .

وأنا أفهم أن يُثني على سارتر شباب أوروبا حيث يخفت هناك صوت الروح ويعربدُ صوت المادة لكنَّ الذى لا أفهمه هو أن يشيد عربى مسلم بسارتر الذى كان عدواً لدين الله متآمراً على فلسطين .

لقد كان من حصاد الوجودية ومن ثمارها السَّامة ظواهُر اجتماعية مخرّبة من بينها نوادي العُراة وقطعان الخنافس والهيبز وأمراض الأيدز والهربز والسفلسّ كما كان من حصادها فنياً مذاهب أدبَّية وفنية تخريبية كنظرية الفن والفنّ والسير يالية الغامضة والتجريدية أفبعد هذا يركض . أبناء امتنا ذات الرسالة العظيمة وراء أمثال سارتر الملحد الصهيوني المخرِّب الذي قاومه رجال الفكر الشرفاء في أوروبا

وكتبوا عن نظرّيته التخريبيَّة : (إن الوجوديةدعوة سافرة إلى الكسل واليأس وهي مذهب انعزالي يدعو إلى الإلحاد والكفر بالله والحساب) ..

هذه نبذة عن سارتر على أن بلاءَنا في بلادنا لم يقتصر على مصيبة واحدة فقد زاد دعاة الحداثة في أوروبا فوضانا الثقافية والاجتماعية حين أغرقونا بعشرات المذاهب الأوروبية المعاصرة في النقد والأدب وعلم الاجتماع حتى صرنا كما قال الشاعر :

تكاثرت الظباء على خُراشٍ فما يدرى خُراشة ما يصيدُ

وعلى سبيل الثقافة النقدية المعاصرة أعرض بإيجاز إلى بعض المذاهب الأدبية الأوروبية وكلُّها نظريات كانت ردودَ فعلٍ للفشل الاجتماعي والعاطفي في أوروبا هنالك :

أ ـ الكلاسيكية التى تَزعّم الدعوة إليها راسين وفولتير وتتلخص في احتذاء النماذج القديمة وتذويب شخصية الأديب في شخصية الأديب الذى ارتضاه نموذجاً .

ب ـ الرومانسية وهي تقوم على الابتداع والتجديد والخيال المجنح ولها خصائص أُخرى لا تناسب أدبنا كالهروب من الواقع وكالخيال المغرق والقلق والكآبة والتشاؤم . وقد كان من روّادها اللورد بايرون الانجليزى وفكتور هوجو الفرنسي وجوته الألماني وبوشكين الروسى والحقُّ أنَّ هذا المذهب هو أقرب المذاهب الأوروبية إلى نفوسنا ومن الممكن أن نقتبس منه بعض محاسنه بعد أن رأينا الومضات الفنية العبقرية في شعر الرومانسيين الانجليز من أمثال ووردز وورث وشلى وكيتس وكولوردج على أن نتجنب ما في هذا المذهب من سلبيات ضارّة .

ج ـ الرمزية وهى أساس بلائنا لأنها جلبت لنا الغموض والتعمية والرموز المطلسمة وبذلك أفقدت أدبنا أهم خصائصه وهي التألق والنصاعة والفصاحة والسطوع . وزاد بلاء الرمزية التى وصلتنا عن طريق بعض المخدوعين من لبنان أنَّ روادها الأوروبيين كانوا من أسوأ الأدباء سيرةً

وإغـراقـاً في الانحـلال حتى لقد اعترف معظمهم بإدمانه للشذوذ الأخلاقي والجنسي من أمثـال بودلـير (الشاعر الرجيم) وفيرلين ومالارميه ورامبو وكلهم فرنسيـون ومن أمثـال ألن بووارنست هيمنجـواى وهما امـريكيـان ومن أمثال هنـرى لورنس الانجليـزى وبتلر بتسْ الايـرلنـدى ورلكه الألماني . وهؤلاء الشُّواذ هم الـذين فتنـوا بفنهم المسمـوم رواد حداثتنـا من أمثـال بدر شاكـر السَّياب وعبدالوهاب البياتي وأدونيس وخليل حاوي ويوسف الخال وصلاح عبدالصبور وغيرهم .

ومن أسـوأ ماجَـرُّوه على أدبنـا العربى أن حَرموا أدبنا من الموضوعات النافعة لأنَّ هذه المـوضـوعـات تتطلبُ الإشراق والوضوح ولأنّ المذهب الرمزى يقوم على التعميـة والغمـوض والصخب المـوسيقى لذلـك لم يستطـع أن يخوض الموضوعات الشريفة واقتصر على الموضوعات الجانبية والذاتية الأنانية .

د ـ الـواقعيـة وهي مذهب كان ردّ فعـل للشيـوعيـة وقـد افتتن به دعـاة القـوميَّـة والشيـوعيـون العرب ظنًّا منهم أنه سيمكِّنهم من مهاجمة الاستعمار على ضوء الـواقـع المجـرم الـذى خَلَّفـه في الأقطـار التى ابتليت به . كانـوا يظنون أن الواقعية سوف تتيح لهم معالجة الموضوعات السياسية والاجتماعية بروح ثورية لكنَّ الـذى حصـل هو أن القـوميـين سَّخروا الواقعية للتطبيل وإلصاق التهم اللذين كانا طابعاً مميزاً للواقعيين العرب من أمثال الجواهرى وسليمان العيسى وأحمـد السَّقـاف وعبـدالله الـبردوني وبلنـد الحيدري وعبدالرحمن الشرقاوي وأحمد عبدالمعطي حجازي وصلاح عبدالصبور .

ثم انهمـر علينـا وابل المذاهب الأدبيّة الدخيلة وإذا شعراؤ نا في دوامة جرفتهم في خضم لا ساحـل له من الاتجـاهـات المشبـوهـة ومنها الميتافيزيقية وهى مذهب تعس يقـوم على شعـوذة تثـرثـر بما وراء الطبيعـة وإن أردت نماذج لها فاقـرأ ديوان صلاح عبدالصبور (أقول لكم) واقرأ شعر أدونيس ويوسف الخال .

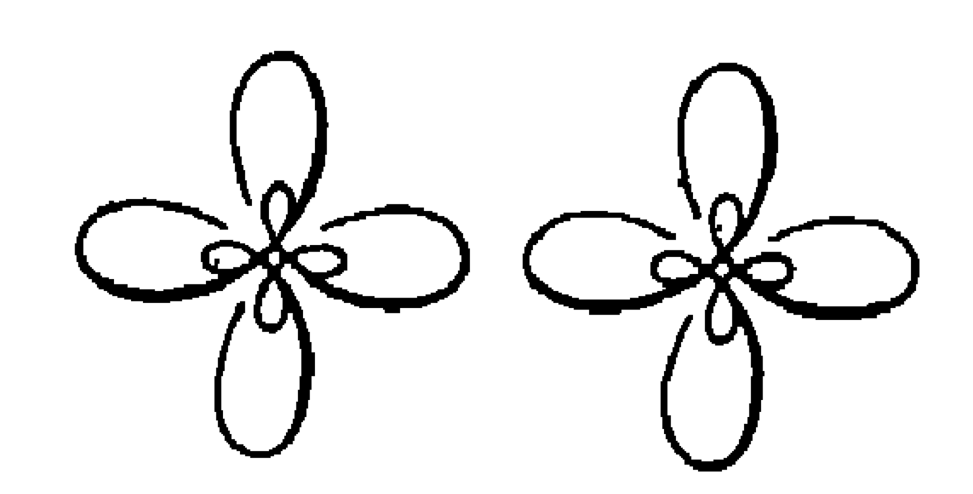
وهنـاك الاتجـاه الفـرويـدى وهـو اتجاه همجى يردُّ كلّ الحياة للجنس ولعلّ نزار

القباني كان زعيمه غير مدافع إلى عام ١٩٦٧م حيث صَعِد نزارٌ من حمأة الجنس ليرى النور ويلامس هموم قومه قليلاً .

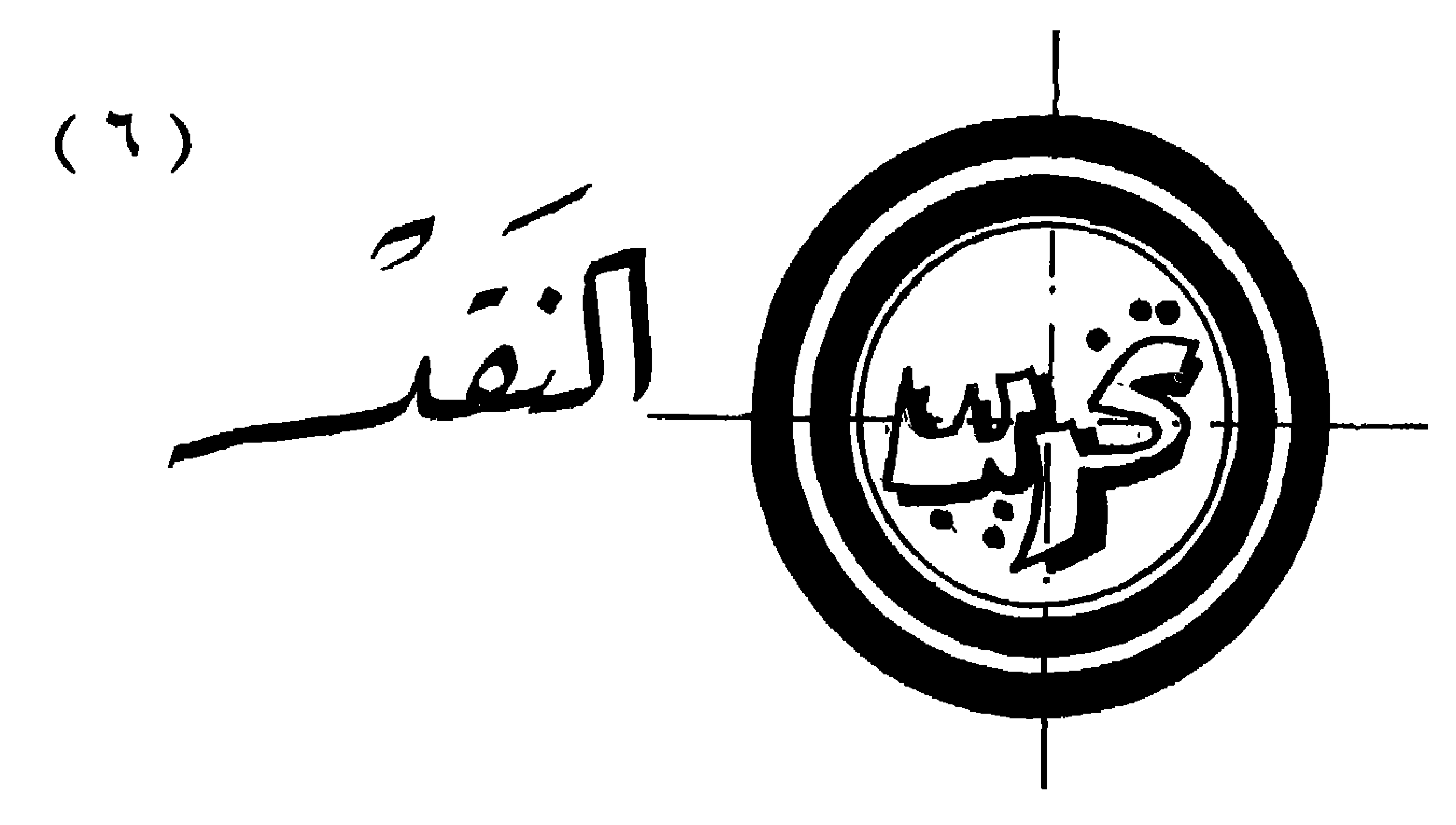
ثم كان أزيزٌ شرسٌ لم نعد ندرك معه طريق الهداية حين هاجرت إلينا كلُّ أخابيث الغرب التوماتية والسيريالية والوجودية والليبرالية واليونجية والإيهاجيَّة والبرناسية والفن للفن والتجريدية وهلمَّ جرّا .

هذه المذاهب كان لها فعل السحر في إثخان أدبنا لأنها أنْسَتْ أدباءَنا ونحنُ في وسط الهزيمة ونار الاستعمار والصهيونية أنستهم نماذج الجهاد والفداء والتضحيات وروائعَ البطولات في سلفنا وتاريخنا وبدّلتنا بهم تلك النماذج الداعرة الشاذّة من أدباء أوروبا . وأهمُّ ما ركَّزت عليه تلك المذاهب أنَّ تخفت في العرب صوت الرُّجولة وتمحو من ذاكرتهم اسم الجهاد في سبيل الله وقد أفلحت في ذلك حتى لقد قرأت نقداً لأدونيس في كتابه (زمن الشعر) ينتقد فيه محمود درويش الشاعر الفلسطيني الماركسي بأن شعره فيه رائحة الجهاد الكريهة في ذوق أدونيس .

وخلاصة القول أنَّ مذاهب الأوروبيين أوقعتنا في غزو فكرى أنسانا به أبطالنا الغُرّ الميامين وغرربنا فسَبَّحنا بمدح الفسق والشذوذ متمثلين في معظم أدباء أوروبا وبذلك أضرَّ أهل الحداثة عقولنا بأكثر مما قتل به جنكيز خان أجسادنا وفي الحقّ أن كثيراً من دعاتنا الذين أورثونا أفكاراً هدامة كانوا أخطر من الجيوش المغولية والصليبية .



(٦)



النقد أستاذ الأدب يوجِّهـهُ نحـو السمُـوّ يهديـهْ طريق الإبـداع ويرسم له من مناهج البلاغة ما يرقى به إلى مستوى الآداب العالميَّة . وهذا النقد تحوَّل في أيامنا هذه ببركة الحداثيين إلى طلاسم لا تفهم وما فهمناه منها وحللناه وجدناه كالغراب يدلُّ على الـرَّبـع الخراب . وهنا أقول بصراحة وأبوَّةٍ لأهل الحداثة العَرَب : إنَّ النقد الأدبيَّ سوف يحاسبكم بين يدى الله لأنكم بدلًا من أن تسمـوا به نحـو الأفضـل طحتُم به إلى الدرك الأسفل فأصبح النقد لدينا من أفتك أسلحة التضليل .

إن الحـداثيـين مسئـولـون عن تخريب النقد الأدبي فقد نقلوا إلينا بدون تحفُّظ طرائق الأجـانب في النقـد وكـان نقلهم غير مسئول ولاُ مخلص ولا ذكيّ . إن من يطالع كتاباً في النقد الأدبي الحديث يصيبهُ إحساسٌ بخَيبة أملٍ . حين يرى أنه نقـد لا يصلح لطبيعتنـا ولا يمكنُ تطبيقـهُ على أدبنـا . ولا أرى تفسيراً لغموض العبـارات النقـدية في النقـد الحـديث إلَّا أنه يعمّى على السموم التى يدُسُّها في معين أدبنا .

وإنى ذاكـرٌ هنـا بعض العبـارات النقـديـة ليعْـذرنـا القُـرَّاء فيـا أسندناه إلى الحداثيين من تهمة . من مقال لشوقى أبو شقرا نشره قديماً في مجلة (شِعْر) المشبوهة يقـول هذا الحـداثي القـوميُّ السوري : (إنَّ الشعر هو فعل اللقط والتوهم . إنه فعـلُ العـلاقـة الخطـرة ، إنـه الجلسة اللغوية الشعرية المصيبة) ونحنُ نقول لهذا المصيبة : أن شعرنا كما فهمناه واستمتعنا به عبر التاريخ هو فكر شريف تجيش به

الصدور فينطلق على الألسنة لفظاً شريفاً ساحر العذوبة .

وهـذه عبـارة نقـديـة أخرى للشاعر القومي السُّوري أنسى الحاج من مقالتين نشرهما في مجلة شعر في العددين ٣٠ ، ٣١ :

(الشعـر ضد اللغـة . ضدُّ الألفـاظ . لحسـاب الحـروف . فالشاعر يهدي على إحـدى طرق الـدادئيـين . ينـافق لبيـاض الصفحـة . يتـلاعب بإمكـانـات الطباعة .) (أعوذ بالله من الشياطين) .

ويقـول يوسف الخـال الشـاعر القومي السُّوري : (أريد أن أعبث باللغة مدة عشرين سنة كردّ فعلٍ على عبث أسلافنا بلغتنا لمدة ألف عام .) حسبنا الله على هذا الكنود الذي يتهم أسلافنا العلماء الأدباء الأخيار بأنهم كانوا يعبثون باللغة .

ونحنُ هنا في الشرق العربي الإسلامي نعاني من هزائم أخلاقية أفيليق بأمتنا أن تزيـد مهـازلها ومآسيها بتقليد أعمى لكلّ طريقة شيطانية . وإذا كان أبو شقرا والخال وأنسي الحاج قد عُرفوا من نشأتهم بعبادتهم لأنطون سعادة فكيف ينبرى من أمتنا مسلمون ينتمون إلى شرف الإسلام ليصغوا إلى أفكار هؤلاء وينشرونها بين أبناء أمتهم ليُرْدُوهمْ وليلبسوا عليهم دينهم وهم في أمس الحاجة إلى الدين والأخلاق .

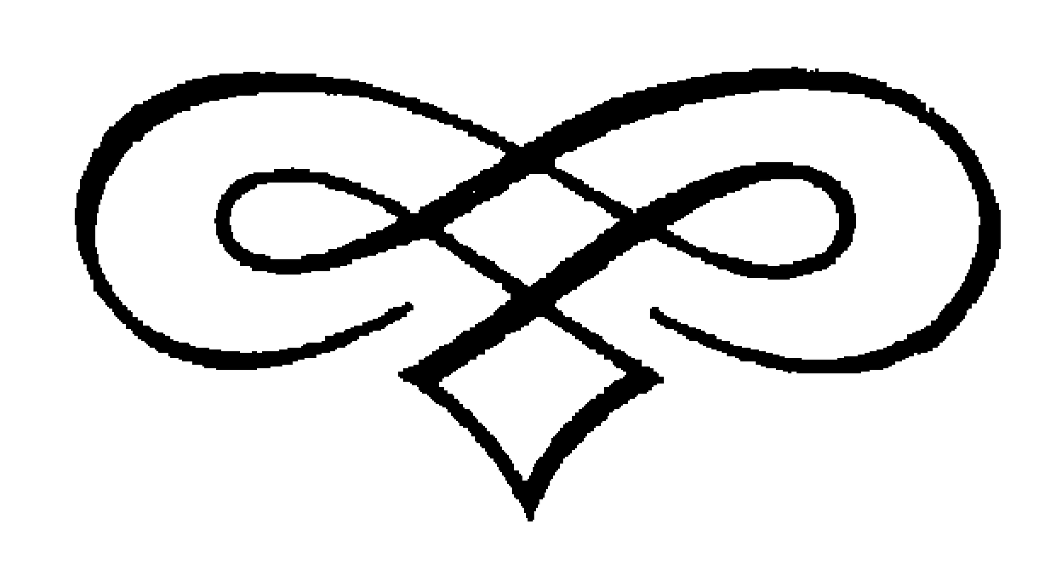
لقـد كانت أمتنـا عبر تاريخهـا ربما تُهزم لكنها تظلَ قائمةً على الحق منتصرة به وبأخـلاقهـا ثم لا تلبث أن يتجلى وجهها مشرقاً بالنور والأمل وبالأخلاَق والدين وإذا هي كالسيف حين يخرج من نار الصقـال . وذلـك لأن أخـلاق أمتنا القرآنية كانت أعظم سلاح لها في شدائـدهـا يزوّدهـا بطـاقات ربّانية لا تنهضُ لها أسلحة الأعـداء . ثمّ لا تلبث أسلحـة الكفـر أن تتحطم على صخرة الإيمان والأخلاق والوحدة الإسلامية .

(وبعـد) فهـذا سؤال كبير أوجهه إلى كلِّ شاعر مسلم وأديب مسلم من أهل الحداثة : إلى متى ياأيها الإخوة يظل أعداؤنا معبوداتٍ لنا ؟؟ وإلى متى نركض وراء الشخصيـات المريبـة التى أطغنـاهـا حقبـة من الـزمن فجـرّت علينـا عار الهـزيمـة ؟؟ ألم يأن للذين آمنـوا أن يصفعـوا تلك النماذج المتآمره التى يقدمها لنا

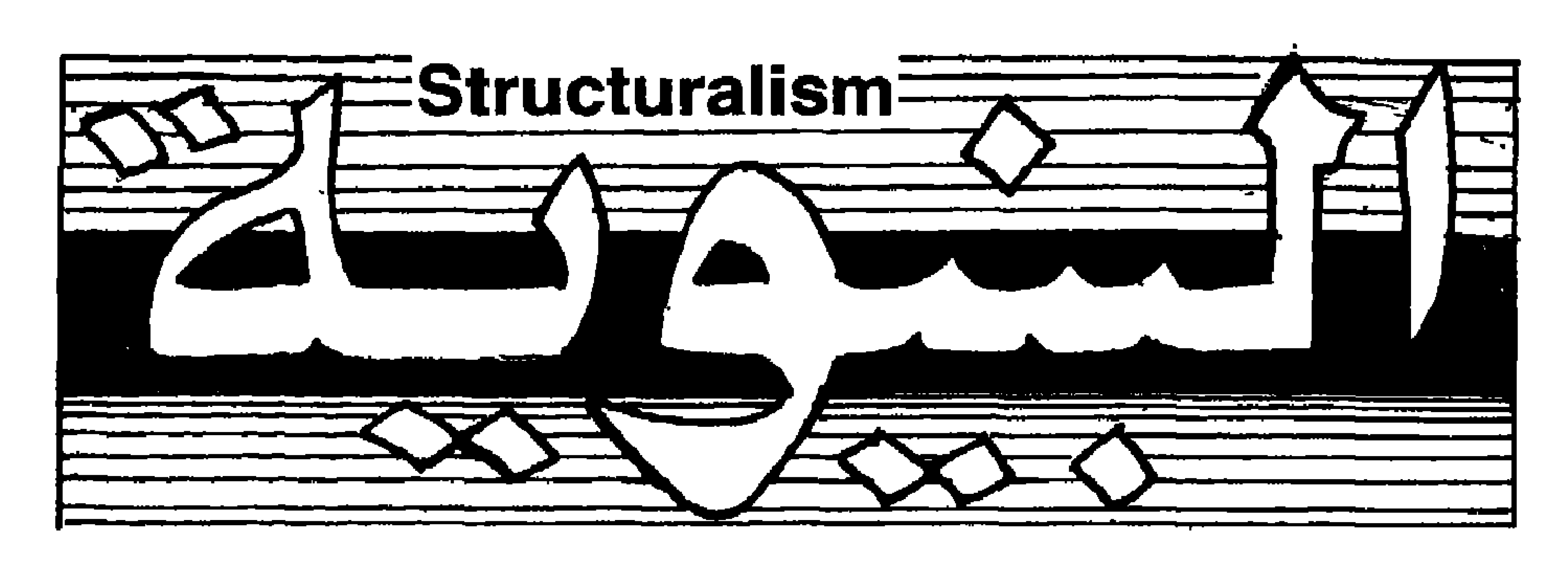
المنـافقـون واليهـود والصليبيون فنقبل عليها بنهم ؟ أما آن أن نستبدل بها مُقوماتنا الإيمانية التى جعلتنا خير أمة أُخرجت للناس ؟

في هذه الأيّـام يحاول بعض أنصـار الحـداثة أن يدخل على نقدنا وأدبنا مذْهباً نقـديّـا جديـداً . كأننـا في حاجـة إلى مذاهب جديدة تزيدنا حيرة وفوضى هذا المـذهب الأوروبي الجـديـد اسمه (البُنيَويَّة) وقد رأيت أن أقف عنده وقفة متأنّية لأنّـه جديـد ولكـلّ جديد كَذَّة . هذا المذهب يتبناه الآن في المملكة شابٌّ دءوب مجتهد له طموحات شريفة بدأت تؤتى ثمارها البالغة إنه الدكتور عبدالله الغذامي أحد أساتذة النقد بجامعة الملك عبدالعزيز في جدّه وإذا كنت أدلى له بمعلوماتى حول هذا المـذهب فحـاشـا أن يكـون ذلـك تطـاولاً على معلوماته الغزيرة لكَنَّه إضافة على هامش معلوماته في هذا الفَنّ وتحذيرٌ في الوقت نفسه من مزالقه .

وما أشك أن اندفاع الغذّامي مع البنيوية إنما هو منطلق حماسته ألاّ يحرم بلاده من الفكـر الجـديـد . ولكن حين يكـون هذا الجـديـد مشبـوهـاً فإذ ذاك تصبـح النصيحة فرضاً لمن أراد ذلك التجديد عن حسن قصد .







يقول الدكتور الغذامي في كتابه (الخطيئة والتكفير) في الصفحة ٣١ بعد أن عرض للتداخل في الآراء والنظريات التى تكتنف البنيوية : (لعلّ هذا التداخل المعقد هو الذى جعل تعريف البنيوية أمراً صعب التحديد حتى بدت البنيوية وكأنها تصور ذهنى يستحيل تبيانه . وبالفعل لم يستطع الدكتور الغذّامى ولن يستطيع هو ولا غيره أن يقدّم تعريفاً موجزاً شاملاً للبنيوية .

ولكنَّ الذى فهمته بمعلوماتى القليلة عن البنيوية : أنها مذهب نقديٌّ أدبيٌّ معاصر يَعتبر أنَّ أهمَّ ما في العمل الأدبي هو البنية (أي الألفاظ) ويرى أنَّ دراسة العمل الأدبي دراسة نقديَّة تتطلب تفكيك جزيئات النصّ أو تشريحها (على رأى الدكتور الغذامي) أو تحطيمها إلى ذرات كي يتمكّن الناقد من إدراك (العلاقات) بين ذرات النّصِّ وجزيئاته . والحقُّ أن تعريفي هذا لا يخلو من نقص لكنه على أى حال تقريبيٌّ للتسهيل .

وقد اكتنفت للبنيوية عدةُ نظريات ساهمت في تكوينها وكانت روافدَ لها وهي النظرية الألسنيَّة والمدرسة الشكلية الروسية ونظرية الإشارات (السيميولوجيا) والتشريحيّة التى أسميها التفكيكية أو التحطيمية ولعلّها هي نظرية الإشارات أو مرادفتها .

وقد قام الاستاذ الغذامي بجهد مضنٍ حقاً حين تكلّف تطبيق النظرية البنوية على أدبنا (في شعر حمزة شحاتة رحمه الله) والحقُّ أن ذلك التطبيق جاء متكلّفاً ومرهقاً وغير مفهوم .

وقد كان من روّاد البنيوية عدد كبيرٌ من رجال الفكر الأدبي الروسيين والانجليز

والأمـريكـان واليهود والحقُّ أن البنيوية مذهب محْظوظ لأن كلَّ المذاهب من قبلها كانت تتعـرض للصـراعات السياسية فما يرضى عنه الروس لا يرضى عنه الغرب إلا البنيـويـة فإن المستعـرض لروادهـا يرى منهم الماركسيين والغربيين والماسونيين واليهـود وهـو إجمـاعٌ رابني حقًـا لأن هؤلاء لا يجتمعـون على خير . لقد حظيت البنيوية بعدد كبير من الدعاة والرواد منهم رُومان جاكوبْسن زعيم النقد الألسني ونظرية الاتصالَ والبنيوية ومنهم ليفي شتراوس وهو الذى ربط البنيوية بالأساطير ومنهم تودوروف وهـو روسي ومن زعـمائهم النـاقـد السـويسـرى دى سوسير وهو صاحب مصطلحـات عقيمـة كالتعـاقبيـة وقطب الدال وقطب المدلول . ومع أن الـدال والمـدلول هما اللفظ والمعنى لكن التعقيد صناعة . ومنهم بياجيه الفرنسى الـذى عرَّف البنيـوية أنها تتقمص شخصيات ثلاث الشمولية والتحول والتحكم الـذاتي ومنهم دو كروت الـذي كتب عن الصـوتيم ، ومنهم بروب الـذى قال إنَّ للصوتيم إحدى وثلاثين وظيفة ، ومن أشهرهـم رولان بارت ومنهم درّيدا وليش ولاكان .

وقد رابني في البنيوية هذا الغموض الرهيب في مصطلحاتها فقد أزعجتني تلك المصطلحات بكثرتها وغموضها والغموض لا ينبعث إلاَّ من مواطن الريبة ، وقديماً قال الشاعر :

والسترُ دون الفاحشات ولا　　　يلقاك دون الخير من ستر

ولكي يلمس القـارىء كثـرة هذه المصطلحات وعقمها وعدم جدواها في النقد الأدبي العربي أورد بعضاً مما يرد على السنتهم مما لا يمكن أن يستفيد منه شعرنا العربي لأنه سفسطة .

الشفرة . والعمل المغلق . والعمل المنقح والصوتيم . التعارض الثنائى . الفحص الاستبـدالي . العـلاقـات والإشـاوات والـرمـوز . اعتباطية الإشارة . المـدلول المنزلق . والدَّالُّ العائم . الاجبار الركني . التوازن الانعكاسي . حالة النحن . كسر النمط . الكتابة الصفر . الأمامية . الحركة الفاعلة . التجاوز . التـوازن . هذا كثـير من قليـل من مصطلحـات البنيـويـة ورصيفـاتهـا الألسنية

والسيميولوجيه والشكلية ونظرية الاتصال وغيرها .

هذا إلى جانب صعوبة الجمل النقدية في هذا المذهب العقيم واكتفي بإيراد عبارات ضئيلة ليَعذُرنا الناس إذا نحن هاجمنا هذه المذاهب التى لا تعني أدبنا في كثيرٍ ولا قليل . وسوف يلاحظ القارىء أن الكلام غير مفهوم ثم أنه لا يفيد شعراءنا .

العبارة الأولى ١ ـ التحليل البنيوى يتطلب فحصاً دقيقاً لعلاقات التأليف وما فيها من إمكانيات التجاوز وهذا مكسب نقديٌّ استمدته البنيوية من الألسنيَّة أخذا بمفهوم التعارض الثنائى .

العبارة الثانية ٢ ـ يحتفظ بارتْ بمفهوم اعتباطية الإشارة في حين يقسمه سوسير الى اعتباط نسبي واعتباط تام .

العبارة الثالثة ٣ ـ إنّ البنية الشاملة للغة هي بنية لا شعورية وهي تشبه إلى حدٍّ كبير حالة الحلم حيث يكون الفعل الدال بينما المدلول في حكم التفسير أو شيء طائر . وبهذا يحرر لا كان الدالّ من قيد المدلول ويكون لدينا عندئذ مدلول ينزلق ودالٌ يعوم .

إنّ أقلّ ما يمكنُ أن يُقال في هذه العبارات إنها جناية على النقد وعلى الشعر معاً كما أنها دليلٌ على عدم احترام مؤلفيها لمشاعر الناس وإلا فكيف يكتبون للمثقفين شيئاً لا يفيد ولاُ يفهم ولا يلزم .

وثمّة ملاحظة مُهّمة لا بدّ أن أصارح القارئين بها تصريحاً لا تلميحاً وهي : أن النُّقاد العرب المتصدرين للدراسات البنيوية ما عدا الدكتور الغذامي الذي أعرفه جيداً وأعرف سلامة معتقده وحبه لوطنه وأمته . أقول إن البنيويين الذين وصلتني أخبارهم هم جميعاً بين منتمٍ إلى الحزب القومي السُّورى أومنتمٍ إلى الماركسية وهم متعارفون ويطبّل بعضهم لبعض ليأخذونا بالصوت . أسمع عن بنيوى من أعرف الناس بالبنيوية اسمه د. كمال أبو ديب وهو سورى يعمل الآن أستاذاً للنقد في إحدى الجامعات العربيَّة ألّف هذاالدكتور كتاباً هائل الحجم

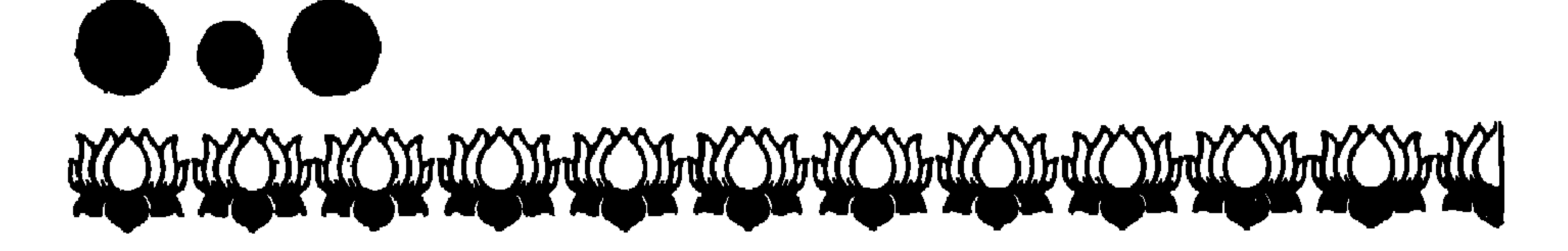
سماه (البيئة الإيقاعية) وهو كتاب في مجموعه أجوف لا فائدة منه لمن يريد أن يحسّن مستواه الشعرى هذا الكتاب تلقفه أدونيس ليكتب له مقدّمة حماسية مجنونة حتى لقد تساءَل قائلاً وهو يذكر الكتاب (أليست هذه ثورةً كوبرنيكية يعنى بذلك أن كتاب زميله د. كمال أبو ديب فتح من آفاق الحضارة ما فتحه كوبر نيكس في عالم الفلك وكروية الارض وغير ذلك من معلومات) وأدونيس كما هو معلوم هو أعرق أعضاء الحزب القومي السُّورى الذى يبني فلسفته على نظرية مجرمة خلاصتها أن سوريًّا ليست عربيـة بل فينيقيـة وينـادى بقـوميَّـة الهلال الخصيب . وعلى ذكر أدونيس قرأنا تحقيقاً معه في مجلة الجيش الجزائرى يقول من ضمن أشياء كثيرة (إن سورة مريم هي من أعظم أمثلة القصيدة النثرية . يقول هذا الكلام وقد قرأ يقيناً في القرآن الكريم قوله تعالى عن القرآن ﴿ وما هو بقول شاعر ﴾ .

وفي مصـر نشأ أحـد البنيـويـين واسمه الدكتور جابر عصفور رجع من أمريكا ودرّس النقـد في إحـدى جامعـات مصـر وكان قد عرف بأنه ماركسي فلما غضبت إحدى حكومات مصر على السياسة السوفياتية وطردت الخُبراء السوفييت أصبح مركز الرجل في حرج وهو الآن يدرس النقد في إحدى جامعات الوطن العربى . وقـد اشتهـرت دكتـورة معروفة في لبنان وهي من الحزب القومـيّ السورى اسمها خالـدة سعيـد أشتهـرت بأنهـا من أخصـائيـات البنيوية ومن المعروف أن الحزب القــوميّ السـورىّ ظلّ خامـد الأنفاس محظوراً على تعاقب الحكومات السورية واللبنانية فلما سادت لبنان الفوضى مدت أفعى هذا الحزب رأسها فرأيناه يشترى مدافـع من عمـلاء الصهيـونيـة وينصبهـا على مخيـمات اللاجئين الفلسطنيين في بير وت ليشفي غليله من المسلمين .

وفي ختام هذا الفصل لا يفوتني أن أشير إلى محاولة الأستاذ الغذامي في إحدى محاضـراتـه أن يطبق النقـد البنيـوى على أشعار خمسة من الشباب الناشئين منهم ثلاثة شباب وشابتان ، الشباب الثلاثة محمد جبر الحربي ومحمد الثبيتي وعبدالله الصيخـان والشـابتان هما خديجة العمرى وغيداء المنفى وجميعهم من المنتمين إلى الشعـر الحـرّ . وأشهـدُ لقـد بذل الدكتور الغذامي جُهْداً هائلاً لا ينكر وذهب في

التـوضيـح بعيـداً حتى لقـد عَرَض خارطـةً توضيحية ورغم هذا علمت من أكابر الحضـور وذوى المستـويـات الرفيعة في الثقافة أنهم لم يستطيعوا فهم المحاضرة وثار بعـد المحـاضرة جدل شرَّق وغرَّب وكاد يصبح غوغائيا لولا أن وقف رئيس النادى ووعـــد الجمهـــور المجتمـع أن يخصص لقـاءً آخـر ووقتـاً أطـول لإكـمال ما بدأه المحـاضـر ، ومعذرة لأخينا وصديقنا الدكتور الغذَّامي الذى أعرف مستواه الرفيع في الخلق العلمى ومـا يتحلى به من أدب المنـاقشـة وعمق التجـربـة مؤكداً له أن اختلاف الرأى لا يفسد قضية الحبّ والتقدير .





البابُ الثاني

عناصرُ الشخصيّة في أدبنا

- أولاً ● النضوج الموسيقى
- ثانياً ● اقترانه بالحكمة والأخلاق
- ثالثاً ● المستوى الراقي لألفاظه (روعة الشكل)
- رابعاً ● تنوّع الأغراض والموضوعات
- خامساً ● الصدقُ العاطفيُّ الذى يولّد الصُّوَر

★ شخصيّة أدبنا ★

لكلّ أدب من الآداب العالمية القديمة والحديثة شخصية متميزة يحرص على استقلالها وتميُّز طابعها فالأدب اليوناني القديم مثلاً نشأ أسطورياً تسوده الملامح الخيالية وحروب الآلهة والأبطال والأدب الروماني نشأ ذا نزعة خطابية تتجلّى في الخطب الرّنانة لشيشرون وماركوس أنطونيوس وغيرهما ثم جاءت الآداب الحديثة فقلّدت في أول نشأتها أدب الإغريق والرومان ثم لم تلبث أن اتخذ كلٌّ منها لنفسه شخصية مستقله لها مميزاتها وعناصرها .

وإذا تصوّرنا أنّ الشعر العربيّ خيمةٌ عظيمةٌ ذات عمود واحد وأطناب فإن العمود الواحد لخيمة أدبنا هو (الوزن) فإذا انهار الوزن من الشعر انهار كلُّ بناء القصيدة وخرج القول عن دائرة الشعر وطرد من ساحته وأعتبر صاحب الكلام غير الموزون أيّ شيء من الأدباء إلا شاعراً وإذا ظَلَّ يَدَّعى أنه شاعر وهو لا يعرف الوزن فهو عندئذ دعيٌّ في حَرَم الشعر وعلى حُرَّاس حوزة الأدب أن يخرجوه من ميدان الشعر .

هذا هو ما تعارف عليه علماء الأدب والعارفون بأصوله وشخصيته.وهو أنّ الوزن عمود الشعر قد تعارفوا على هذا الأمر المهم وأجْمعوا عليه من لدن أوّل العصر الجاهلي إلى منتصف القرن الحاليّ حين بدأت ريحنا تذهب بتخطيط الاستعمار وبدأت ثقتنا تضعف بأنفسنا وتراثنا . وأصالتنا تتحطم على صخرة الظلم الاستعماري والغزو الفكري . فرفع عندئذ دعاة الحداثة عقائرهم يصيحون إن الوزن قيد للتجربة وإن القافية عبْءٌ على الفكر وإنّ التزام عمود الشعر يقف مسيرة الانفعال .

وأخيراً أعلنوا أن العروض لا لزوم له بل أمعنوا في التنكر لأدبنا ولغتنا فأعلن أدونيس أن اللغة نفسها قيدٌ على العاطفة ومن ثمّ فلا بد من التحرر من قيد القواعد واللجوء إلى العامية وإهمال النحو وبذلك تكشفت دعوتهم عن مخطط يعصف بلغة القرآن وتراث الإسلام ووحدة العرب وهنا أحبُّ أن أسرد في إيجاز

عناصر الشخصية في الشعر العربيّ مؤيداً كلّ عنصر بنماذج ممتعة لكي يظل أهل الغيرة من الشعراء على صلة بهذه العناصر وحرص عليها فيقطّعوا بهذا حبائل المتربصين .

أوّلاً : النُّضْجُ المُوسِيقيّ

يعترف المطّلعون على الآداب ودارسو الأدب المقارن أن أنضج موسيقى يتمتع بها شعر عالمي هي موسيقى الشعر العربي . وهي موسيقى تقوم على الوزن الذى تحدّده التفعيلات كما تقوم على القوافي ذات الإيقاع المطرب وأخيراً تعتمد على الأنغام الخفية الناجمة عن عبقرية الشاعر في بناء الألفاظ وتنسيقها ورصفها . وإذا كان الوزن والقافية يشنفان الأسماع فإن الموسيقى الخفيَّة تشنِّفُ القلوب لأنها تصدر عادة عن ذوي المواهب الأصيلة في الشعر . والحقُّ أن القوافي أيضاً خدمت شعرنا لأنها سهّلت حفظه وانتشارهُ والتمثُّل به في المجالس .

ومن أجل النضوج الإيقاعي والموسيقى في شعرنا صلح منذ القديم للغناء فكان سلوة الظاعنين في سكون الصحارى . بل لقد كان الشعراء يختمون أبياتهم بتنوين يقال له تنوين الترنُّم وهم يُنشدُون شعرهم غناءً بين أيدى الخلفاء كقول جرير في مطلع إحدى نقائضه :

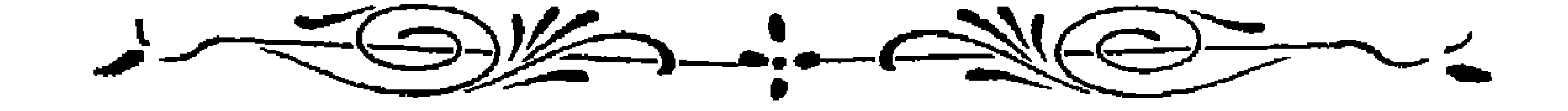
أقلّي اللومَ عاذِلَ والعتابا　　　وقولي إن أصبتُ لقد أصاباً

وكان من الشعر العربي أراجيزُ وحُدائيات يحدون بها الإبل لينسوها بالموسيقى وعثاء السفر . وللإبل حاسة موسيقية دقيقة فإذا طرب الجمل حنَّ إلى ربوعه حيث في انتظاره العيسُ الجميلات ومن أقدم ما حفظ من حُداء الجاهلية :

دع المطايا تنسم الجنوبا
إنّ لها لنبأ عجيباً
حنينُها وما اشتكت لغوبا
يشهد أن قد فارقت حبيبا

ما حملتْ إلا فَتًى كئيبا
لو تركَ الشوقُ لها قلوبا
إذن لآثُرنا بهنَّ النِّيبا
إن الغريبَ يُسْعِدُ الغريبَا

وبهذه الخاصة الموسيقية الغنائية الناضجة تنوعت أوزان شعرنا حتى بلغت العشرات وكان منها الأوزان الطويلة كالطويل البسيط وهي تصلح للإيقاع الهادىء وكان منها الأوزان المتوسطة كالوافر والكامل التى تصلح للإيقاعات الحماسية الصاخبة . وكان منها الأوزان القصيرة التى تصلح للأناشيد والدُّعابات . ومن المعروف أن الشعر الإسبانى نقل عن شعرنا القوافي وأنّ الشعر الانجليزى لا يتمتع بعشر معشار موسيقانا لأنه ليس له إلا وزنان رئيسيَّان وكان المفروض أن يقتبس الأجانب من شعرنا روعة موسيقاه لا أن ننقل نحن عن الأجانب بدائية موسيقاهم .



• ثانياً : •



اقترانه بالحكمة والأدب

من أهم عناصر الشعر العربي أنه نشأ أدباً ، ومضى عبر القرون أدباً ، ومن أجل ذلك كان العرب يتسابقون إلى حفظ الشعر ودرايته ، ويؤدّبون أبناءَهم بحفظه وروايته . وكانوا يرددونه أثناء المعارك والمواقف الحاسمة . وقد اعترف معاوية رضي الله عنه أنه همّ بالفرار يوم صفين فلما ردّدَ أبياتاً لعمرو بن الأطنابة الخزرجي ثبت في الساحة وطرد شبح الفرار وهذ الأبيات التي منها البيت الشهير

وقَوْلي كُلَّما جَشَأَت وجَاشَتْ   مكـانكِ تُحمدي أو تستريحي

ولعلّ من أكره أنواع الشعر وأغراضه شِعْرَ المدح ولكنَّ الشعراء الأصلاء كانوا يجملونه بالحكمة فتُقبِل عليه الأذواق بشغف عظيم وذلك لأن الحكمة حين تنطلق من الإِحساس المنفعل والعواطف الصادقة تزول عنها الوعظيَّةُ المباشرة والتعليميَّةُ

الجافّه ، وتلبس ثوباً جميلاً من نبل المشاعر ولطف المأخذ . وهذان نموذجان كلاهما من شعر المدح قيلا قبل ألفٍ وأربعمائةٍ وخمسين عاماً ومع ذلك رسما لأهل الطموح الشريف طريق الفضائل طول هذه الأحقاب .

يقول زهير :

وفيهم مقامات حسانٌ وجوهُها
وأنديةٌ ينتابُها القولُ والفعلُ

وإن جئتَهم ألفيتَ حولَ بيوتِهمْ
مجالسَ قد يشْفى بأحلامها الجهلُ

على مكثريهم رزقُ من يعتريهمُ
وعند المقلّين السماحةُ والبذلُ

فما كان من خيرٍ أتوْهُ فإنّما
توارثَهُ آباءُ آبائهم قبلُ

وهل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلا وشيجُهُ
وتُغرسُ إلا في منابِتِها النخلُ

وأما نموذَج الحطيئة فهو أيضاً في المدح وفيه يقول :

أقلُّوا عليهمْ لا أبا لأبيكمُ
من اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سَدُّوا

أولئك قومٌ إن بَنَوْا أَحْسَنوا البُنَى
وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقدوا شَدُّوا

وإن كانت النُّعمى عليهم جَزَوْا بها
وإن أَنعموا لا كدَّروها ولا كدُّوا

مَطاعينُ في الهَيْجا مكاشيفُ للدُّجى
بنَى لهمُ آباؤُهمْ وبنَى الجدُّ

بل إن الحطيئة كان وهو يهجو ينثر درر الحكم في نظم هجائه ولنستمع إليه وهو

يقول في الهجاء :

لما بدا لــيَ منكُــم غَيْبُ[1] أنفسكمُ
ولــم أجــد لجــراحي منكُــم آســي

أزعمــت يــأساً مُبينــاً من نوالكمُ
ولــنْ تــرى طــارداً للحُــرِّ كالياس

دع المكــارمَ لا تــرحلْ لُبغيتهــا
واقعُــد فإنــك أنت الطــاعمُ الكاسي

مــن يْفعــلِ الخيــر لا يَعْدَمْ جَوازيَه
لا يــذهبُ العُــرْفُ بيــنَ الله والناسِ

فانظـر إلى الحكمـة الرائعة في الشطـر الثـاني من البيت الثـاني وإلى الرائعة الأخرى في البيت الأخير لترى كيف كان شعرنا يتدفق بالحكمة حتى في المدح والهجاء .

ولا شك أن فُرسان حلبة الحكمة في شعرنا هم أبو الطيب وأبو تمام وأبو العلاء وشوقي ويكفي أن نورد لكل واحد منهم نموذجاً قصيراً كعِّينة من منجمه النفِّيس .

يقول أبو الطيب :

ومن نكــد الدُّنيــا علـى الحُرِّ أن يرى
عــدوًّا لــه مــا من صــداقته بــدُّ

وأعْــرقُ خلــق الله في الــذلِّ أمّــةٌ
تُضــامُ ومنهــا للذى ضــامها جُنــدُ

ويقول أبو تمّام في الصديق المهذب :

مــن لــي بــإنســانٍ إذا أغضبتُــه
وجهلــتُ كــان الحلــمُ ردَّ جوابِه

(١) يقرؤها البعض عيبُ وما أوردنا أبلغ ومعناه ما تخفونه من أخلاق نفوسكم .

وتــــراه يُصغـــي للحديـــثِ بسمعــه

وبِقلْبِــــه ولعلّـــهُ أدرى بــــهِ

ومن حكم أبي العلاء :

ولَّمـــا رأيتُ الجهــل في الناسِ فاشياً

تجـــاهلتُ حتّـــى ظُـــنَّ أنّيَ جاهلُ

فـــوا حزنــاً كم يدّعى الفضــلَ ناقصٌ

ووا أسفــاً كَمْ يُظهــر النقــص فاضِلُ

ومن حكم شوقي رحمه الله :

ولا يبنـــي الممــــالك كالضحـــايا

ولا يُــــدني الحقــــوقَ ولا يُحِــقُّ

وللأوطــــان فــــي دم كــــل حـــرٍّ

يـــدٌ سلفـــت ودَيـــن مستحـــقّ

وللحــــرية الحمــــراء بـــــابٌ

بكـــل يـــدٍ مضـــرَّجة يـــدقُّ

ولعلك لو تلمَّست شعر الحكمة والأدب في الشعر العربي لوجدت أنَّ أكثرَ من نصف الشعـر العـربي ينتمي إلى هذا الباب وقد نظمت قصائد كاملة من شعرنا في الأدب والحكمة كقصيدة عمر بن الوردي وشعر صالح بن عبدالقدوس ونونية أبي الفتـح البستي وكثـير من قصـائـد الـبرعي اليهانى . بل إن دواوين بأسرها لم تخرج عن موضـوع الأدب والحكمـة كالـديـوان المنسـوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنـه وكـديـوان الشـافعي رحمـه الله وكـديـوان اللزوميـات لأبي العلاء المعري . على أنَّ مقاييس أدبنا لا تستسُيغ أن تكون القصيدة كلُّها أدباً وحكمة لأن ذلـك يخرجهـا إلى الـوعظية التعليمية وترى أن تنثر الحكمة في أثناء القصائد مرتبطـة بعـاطفـة الشـاعـر كما يلاحـظ القارىء في دواوين أبي الطيب وأبي تمام والشريف الرضي وشوقي وعلي بن الجهم والقَّباني وأشجع السُّلَمي وغيرهـم .

هذا وفي شعـرنـا العـربي موضـوع كبـير وغـرض شعـرى نبيل ألا وهو الشعر

الإسـلامى وهـو شعـر كلُّه أدب وحكمة لأنه يدور حول مقاصد الإسلام العظيمة ومنـاهجـه المستقيمـــة وتلك كلُّهـا آداب وأخلاق وحين يخوض الشعر الإسلامي سير الصحـابـة الكرام وبحار السيرة النبوية الشريفة تراهُ يعبق بشذا الحكمة لأن الـرسـول الكـريم ﷺ كان قدوة الـدنيـا في الفضـائل والمثل العليا . ولا غرو فهو صاحب الخلق العظيم الذي أعلن أنه إنما بُعث ليتمم مكارم الأخلاق . ولم أشأ أن أضرب أمثلة كثيرة من شعر الحكمة والمثل والأدب في شعرنا لأن هذا الموضوع بحر لا ساحل له ، وبحسبنا تلك النماذج العابرة التى أوردناها آنفاً .

★ ★ ★ ★



ثالثاً: المستوى الراقي للشكل (الألفاظ)

كانت لغة الشعر عبر العصور أرقى في مجموعها من لغة النثر الفنيّ . أجود اختياراً ونظماً وأجمل انتقاءً وتنسيقاً وأكثر التزاماً بالفصاحة والإشراق . وهذا ماجعل للشعر شعبيّة وجعله مستودعاً عظيماً لشواهد اللغة وأصولها وقواعدها وجعل شعرنا الأصيل حافظاً للغة على عكس شعر الحداثة الذى ينقص لغتنا من أطرافها كلّ حين لأنه يستهين بالقواعد ولا يعبأ بالتراث ولا يبالي بالأغلاط . بل إن من شعراء الحداثة من يجاهر بأن انتقاء الألفاظ والتزام فصاحتها وصحتها لا يليق بشاعر الحداثة لأن في هذا قيداً يُقيّد تجاربه ومعاناته . ولهذا فإذا أردت أن تثبت شاعريتك عند هؤلاء القوم فأكثر من أخطاء اللغة لتثبت لأهل الحداثة أن صدق تجربتك قد صعق صحة الفاظك . إنَّ من يوازن بين ألفاظ الشعر وألفاظ النثر في أدبنا يلاحظ أنَّ ثمة بوناً شاسعاً فالشاعر بعد أن ينظم القصيدة يقوم بعملية نقد ذاتى لها ويحرص أشد الحرص ألّا يتغاضى عن لفظة واحدة تنقُصُها الرصانةِ والجزالة وملاءمة الموضع . كان زهير بن أبي سلمى ينظم القصيدة ثم ينقحها ويعرضُها على النقاد ثم لا يذيعها إلا بعد حول فلُقّبت قصائده بذلك الحوليَّات . وإنك لتقرأ شعر المبدعين من الشعراء فلا تستطيع أن تستبدل لفظة بلفظة ولعلك لو قرأت هذا النموذج من شعر البحترى تدرك ما أعنيه بالمستوى الراقي لألفاظ الشعر .

تمشي فتحكم في القلوب بدلِّها ... وتميس في ظلِّ الشبابِ وتخطُرُ

وتميل من لين الصِّبا فيقيمُها ... قدٌّ يؤنّث تارةً ويُذكَّرُ

إنـــي وإن أظهـــرتُ بعــضَ بطــالتي
وتــــوهّم الواشــــون أنّي مُقَصّرُ

ليشـــوقني سحـــر العيـون المجتلى
ويهـــزني وردُ الخـــدود الأحمـــرُ

إنَّ من يقرأ هذه الأبيات يدرك لماذا قال النقاد في شعر البحترى (أراد البحتريُّ أن يشعُرَ فغنّى) .

وأما النموذَجُ الثاني للشعر الذى تسحرك الفاظه فهومن نظم شرف الدين الأنصاري وكان شيخ شيوخ حماة . توفي بعد سقوط بغداد بست سنين .

رفقـــا بـــروحي فهـــي لـــكْ
العبـــدُ منـــك ومـــا ملـــكْ

مـــن فـــرَّ مـــن ذُلّ السُّـؤال
فَعِـــزّتـــي أن أســـــألَـكْ

إن تحـــمِ عينـــي أن تـــراكَ
جعلـــتُ قلبـــي منزلـــكْ

إنـــي أغـــارُ إذا الأراكُ
دنـــا إليـــك وقبَّلـــكْ

ويروعنـــي مـــرُّ النسيـــم
إذا ثنـــاك وميَّلـــكْ

مـــا أقبـــح الصّبـــر الجميـــل
بعـــاشقيـــكَ وأجَملَـــكْ

وأما النموذَج الثالث فهومن شعر صفي الدين الحلّي زعيم شعراء عصر المماليك . والنموذج موسيقاه ظاهرية يشارك فيها البديع . والقصيدة طويلة جميع ألفاظها من قاموس الألفاظ الجميلة .

ورد الـــربيـــعُ فمرحبـــاً بـــوروده
وبِنُـــور بهجتـــه ونَـــوْر وروده

وبِحُسْـــنِ منظـــرِه وطيـــبِ نسيمِه
وأنيـــقِ ملبَسِـــه ووشْـــي بُروده

فَصْـــل إذا افتخــرَ الزمـانُ فإنّه
إنســـانُ مقلتـــه وَبْيـــتُ قصيدِهِ

يـــا حبَّـذاَ أزهـــارُه وثِمـــارُه
ونَبـــاتُ نـــاجِمه وحـــبُّ حصيده

ولكي يدرك القــارىء مدى الخســارة التى حاقت بشعـرنـا العَرَبيّ حين ترك شعراء الحداثة انتقاء الألفاظ وفصاحتها أوردُ هذا النموذج من شعر الحداَثة ، وهو لزعيم ورائــد من أشهـر زعـماء الشعـر الحرّ وروّاده . ومع أننا نصَبناه بين ظهرانينا زعيـاً ورائـداً فقـد كان في فكـره عبـداً لشاعر انجليزى أمريكي كاثوليكي اسمه تى . إسْ . إليـوت . ويسميـه النقـاد العـرب عملاق الحداثة حتى ما منهم إلا مدحه وتأثر به مع أنه كان من أشد الناس احتقاراً للعرب وأدبهم ولا غرو فقد كان له أستـاذ ومـوجّه روحي اسمه عزرا باوند . كان يهوديا أمريكيا له أشعار متوسطة وكـان يلازمُ إليـوت ملازمـة ظله . وهـدفي من إيـراد هذا النموذج من شعر زعيم الحداثة في مصر أن توازن صورته اللفظية بالصور التى أوردناها من شعر الأصالة .

يقول صلاح عبد الصبور :

كان الإنسان الأفعى يَجْهد أن يلتفَّ على الإنسان الكُركيّ
فَمشى بينهما الإنسان الثعلب
عجباً !! زَورُ الإنسان الكركي في زور الإنسان الثعلبْ
نَزَل السوقَ الإنسانُ الكلْب
كي يفقأ عين الإنسان الثعلبْ
ويدوس دماغ الإنسان الأفعَى
واهتزَّ الشُوق بخطوات الإنسان الفهد

قد جاء ليبقر بطن الإنسان الكلب

ويمصَّ نخاع الإنسان الثعلب

ونحن نقول (اعوذ بالله من همزات الشياطين وتخريب المخربين







هذا العنصر المهم من عناصر شعرنا كان من أجمل وسائل التشويق لأنَّ النفس تسْأم الرتابة والتكرار . وتعشق التنويع والابتكار . إنّ الذى كرَّه الناس في شعر الحداثة أنه لا يكـاد يخرج عن موضـوع واحـد هو (الوجدانيات الممسوخة السَّاخرة) بينما شعرنا الأصيـل مَعْـرِضٌ عبقـرى يرضي كلَّ نماذج الأذواق والمشـاعـر . يَسـرُّ ويشجي ويضُحك ويبكي ويرسم بريشة العاطفة لوحات عبقريةً للحب والكره ، والرضا والسخـط ، والسُّـرور والحُزن . وتقرأ فيه ما تشتهي من أدب وحكمة ، ومن رثاء وهجـاء ، ومن غزل ونسيب ومن دعـابـة وعتـاب مما جعل لشعرنا شعبيَّةً وعشَّاقاً يحفظون منه آلاف الأبيات ويتمثلون به في المناسبات الملابسة للأغراض فيبعثون السـرور في منـاسبـة الفرح ويشيعون الصَّبر في مواطن العزاء وينوّرون العقول في مواطن الحكمـة . وبـذلـك كان الشعـر الأصيـل روْحَ المجـالس وريحانها وغذاء القلوب وألحـانهـا ، وسـوق البـلاغـة وميدانها ولا أجاوز الحقيقة إذا قلت إننا منذ ابتلينـا بشعـر الحـداثة فقدنا بهجة المجالس وأنْسَ المُجالس (بضم الميم) وتحوَّلت أسـمارنـا العذبة عن مجانى الأدب إلى مجالب التعب . وإنى متحفٌ أسماع القرَّاء

بنماذج من تنوع الأغراض كمحطة استراحة .

فمن شعر الأدب والحكمة هذه القطعة لأبي نواس وقد جمعت إلى جانب الغرض النبيل السطوع الجميل :

أيـــامَنْ ليـــس لي منـــه مجيرُ
بعفـــوكَ من عـــذابك أستجيـــرُ

أنـــا العبـــد المقـــرُّ بكلِّ ذنبٍ
وأنـــتَ السيّد المـــولَى القـديرُ

فـــإنْ عذَّبتنـــي فبســـوء فعلـــي
وإن تغفـــرْ فـــأنت به جَديـــرُ

أفـــرُّ إليـــك مِنْكَ وأيـــنَ إلَّا
إليـــكَ يفـــرُّ منـــك المستجيرُ

ومن شعر الغيرة الدينيَّةِ والوطنية هذه المقطوعة لنصر بن سيّار وكان من رجالات بنى أمَيّة في آخر عهد دولتهم وقد رأى تطاحن المسلمين فيما بينهم فقال هذه الأبيات الخالدة التى تستحق أن يخاطب بها العرب في هذه الأيّام :

مـــا بالُكـــم تلقحـــون الحرب بينكـــمُ
كـــأنَّ أهـــلَ النُّهى[1] عن رأيكم عزبوا

وتتـــركون عـــدوًا قـــد أظلّكُـــمُ
بالخـــوف والقتـــل لا ديـــنٌ ولا أدبُ

قـــومٌ يدينـــون دينـــاً ما سمعت به
مـــن الرّســـول ولم تنـــزل بِه كتُبُ

فمـــن يكـــنْ ســـائلاً عن أصْلِ ملّتهمْ
فـــإنَّ دينهمـــو أن يُقتـــل العـــربُ

وهنا نماذج لتنُّوع الأغـراض في شعرنا مع سطوعه وإمتاعه في كل غَرَض وفي كل موضوع :

---

(١) العقول

فمن جيد الحكمة والأدب قول أبي نواس :

لا تفـــرغُ النفــس من شُغـــلٍ بدنيـاها
رأيتُهـــا لم ينلْهـــاَ مـنْ تمنَّـاها

إنـــا نتـــافسُ في دنيـــا مـــوليِّةٍ
ونحـــنُ قد نكتفـــي منهـــا بـأدناها

حـــذّرتُكَ الكِبْـــرَ لا تعْلَـــق بميسمِه
فـــإنّه مَلْبَـــسٌ نـــازعْتَـــه الله

إنـــي لأمقـــت نفســـي عند نخـــوتها(١)
فكيـــف آمـــنُ مقـــتَ الله إيّـــاها

يـــا راكب الـــذنبِ قد شَـــابتْ مفارقُه
أمـــا تخـــاف مـــن الأيّام عقبـــاها

ومن نماذج المديح وهو الغرض الذي ينكره أهل الحداثة قول شوقي رحمه الله يرسم المُثل العليا مقتبسة من أخلاق رسول الله ﷺ ومن سيرته :

فـــإذا سخـــوْتُ بلغـــتَ في الجـــودِ المدى
وفعلـــتَ مـــالا تفْعَـــلُ الأنـــواءُ

وإذا عفـــوتَ فقـــادراً ومُقـــدراً
لا يستهيـــنُ بعفـــوِك الجهـــلاءُ

وإذا خطبـــتَ فللمنـــابر هِـــزَّةٌ
تعـــرو النـــدىَّ وللقلـــوب بكـــاءُ

وإذا رحِمـــتَ فـــأنت أمٌّ أو أبٌ
هـــذان فـــي الدُّنيـــا هُمَا الرحماءُ

وإذا أخـــذتَ العهـــدَ أو أعطيتَـــه
فجميـــعُ عهـــدِك ذِمَّـــةٌ ووفـــاءُ

---

(١) غطرستها

ومن الفخر السّامي قول أبي الطّيب :

وغيــــرُ فــــؤادي للغـــواني مطيَّـــةٌ
وغيـــرُ بنـــاني للزُّجــــاج رِكــابُ

تركنــا لأطـراف القنــاَ كــلَّ لــذّةٍ
فليـــس لنـــا إلا بِهِـــنَّ لِعَــابُ

أعـــزُّ مكــــانٍ في الدنـــا سرجُ سابحٍ
وخيـــرُ جليــس فــي الزمـــان كتــابُ

ومن المشاركات الاجتماعية قول البوصيري رحمه الله وقد لاحظ أن معظم موظفي المالية كانوا من النصارى واليهود ورأى معظم موظفي الدولة ينهبون أموالها فكتب إلى الوزير بهذه الابيات :

نَقَـــدْتُ طـــوائفَ المستخــدمينـــا
فلـــمْ أرَ منهـــمُ رجـــلاً أمينـــا

أمـــولايَ الوزيـــرَ غفَلــتَ عمّـــاَ
يتـــمُّ مـــن اللئـــام الكـــاتبينا

تنسَّـــكَ معشــرٌ منَهـــمْ وُعـــدُّوا
مـــن الـزُّهـــادِ والمتنسِّكينـــا

ومـــا أخشـــى علـــى أمـــوال مصـــرٍ
ســـوى لـــصٍّ نسمّيـــه الأمينـــا

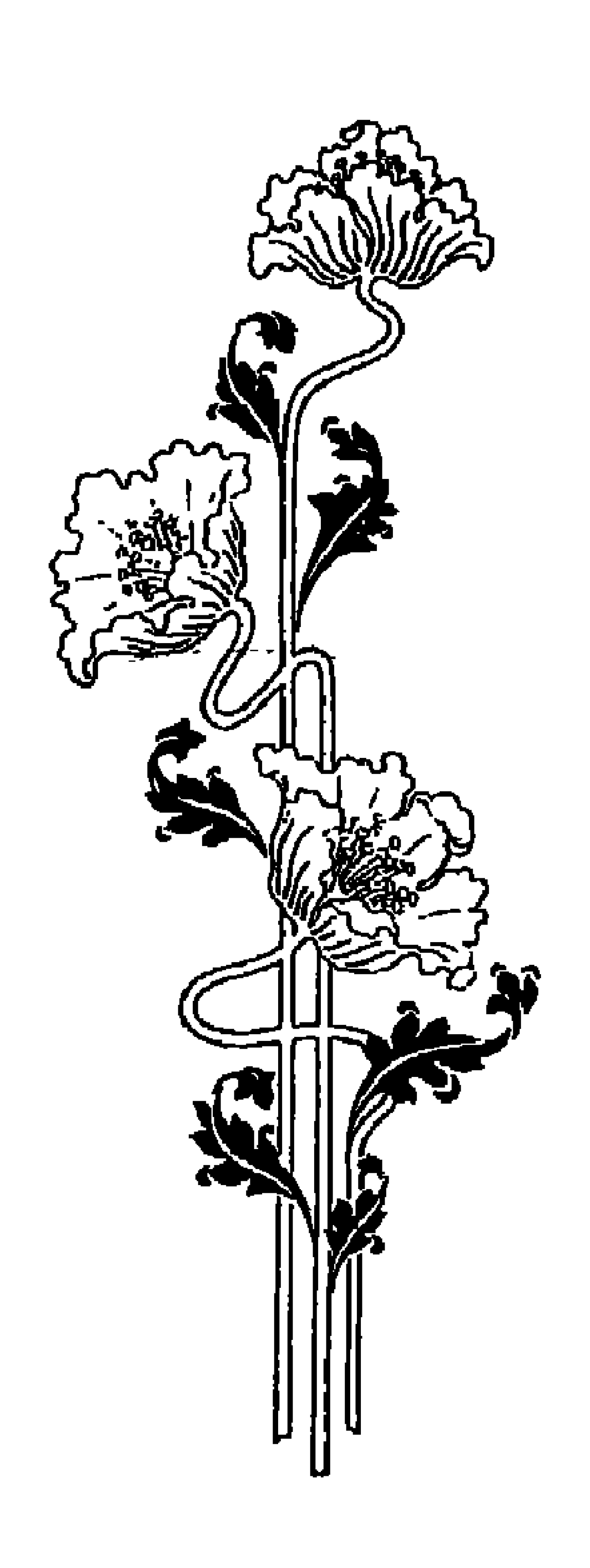
يقـــول القبـــط نحـــن ملـــوك مصرٍ
وإنّ المسلميـــــن لغـاصبونـــــا

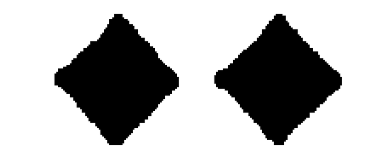
وقـــام بنـــا يهـــوديٌّ خبيـــثٌ
يســوم المسلميـــن أذًى وُهونـــا

إذا ألقـــى بهـــا مـــوسى عصـــاه
تلَّقفَـــتِ القوافـــلَ والسَّفينـــا

وفـــي مـــال الحكـــومة أيُّ نهـــبٍ
فليتـــكَ لـــو نَهَبْـــتَ الناهبينا

وبالمناسبة فقد كان البوصيرى رحمه الله ظريفاً فيه نكتة كسائر المصريين مع أنهُ أشتهر ببردته في مدح رسول الله ﷺ هي أشهر شعرٍ مُدِح به النبيُّ الكريم ﷺ ولولا ما وقع فيها من مغالاةٍ تُطلُّ على الشركَ لكانت أشرف المدائح النبوّية .







كان شعرنا العربيُّ ينبجسُ من ينبـوع العواطف الثَّرَّة وكانت تلك العواطفُ تجنح العبارات في شعرنا فتحولها صوراً فنية رائعة . وقد لازم الصدق العاطفيُّ المصوِّر شعرنا عبر التاريخ فكنا نستمتع في شعر المعلقات في الجاهلية وفي شعر العذريين في العصـر الإسـلامي . فلما جاء عصـر بني العّبـاس شبت العـواطف عن طوق الصحـراء وخـرجت الصـور عن نطـاق البـداوة ، وأصبحت التصاوير العاطفية مترامية الآفـاق . وفي العصـر الحـديث تدفقت العـواطف من منطلق الـوطنيـة والدين فحدث في الصور سمو ينطلق من شرف الحماسة الدينية والوطنية .

والحقُّ أن الصـدق العـاطفي هو البـوتقـة التى تصهـر في حرارتهـا كلَّ عناصر القصيـدة وبخـاصـة عنصـر الخيـال الذى يتأثر أكثر ما يتأثر بالعواطف المشبوبة . وذلـك لأن العـاطفة المشبوبة الصادقة لا يروي غليلها أن تقول للوطن أنت جميل وحدودك الجغرافية كذا وحاصلاتك عظيمة لكنها لا تكاد تذكر الوطن حتى تحوِّم في كلِّ آفـاق الجـمال والسمـو والكـمال والـروعـة والجلال والقداسة والبركة فتعود بحصيلة من الصور تشكل أورع لوحة فنّية لحبِّ الوطن . وإني مورد هنا إن شاء الله نماذج من الأشعار التى يَبْرُز في خصائصها الصدقُ العاطفي :

فمن ذلك هذه الأبيات التى قالها شوقي رحمه الله وهو في منفاه بإسبانيا يتشوَّق فيها لمصر المصورة في ضميره :

يـــا ساريَ البـــرق يرمي عـــن جوانحنـــا

بعـــد الهـــدوء ويَهْمـــي عن مآقينا

لمـــا ترقـــرق في دمـــع السمـــاء دماً

هـــاج البكـــا فخضَبنـــا الأرض بـاكينا

الليـــل يشهـــد لم تهْتِكْ ستـــائره

علـــى نِيَـــامٍ ولـــم تهتـــفْ بسالينا

والنجـــم لـــم يَرنـــا إلاّ علـى قـــدمٍ

قيـــامَ ليـــلِ الهـــوى للعهـــد راعينا

ومن الشعر الذي يتجلَّى فيه التصوير العاطفي قولُ ابن ميَّادة :

غـــداً تمطـــرُ العينان مـن حُرْقة النوى

ويبـــدو من النفـــس الكتـــوم ضميرُها

أيبصـــرُ عنـــدَ البيـنِ قَلْبُك أمْ لَهُ

غـــداً طَيْـــرةٌ لا بـــدّ أنه سيطيرُها

ومن الشعر الذى يتألق فيه وهج العاطفة قول ابن الدُّمينة :

أُميمـــةُ : في قلبـــي جِراحٌ وحُـــرقةٌ

وأنـــت لهـــا لـــو تعلميـــن طبيـــبُ

فلـــو أنّ مابي في الحصـــى فَلَق الحصـــا

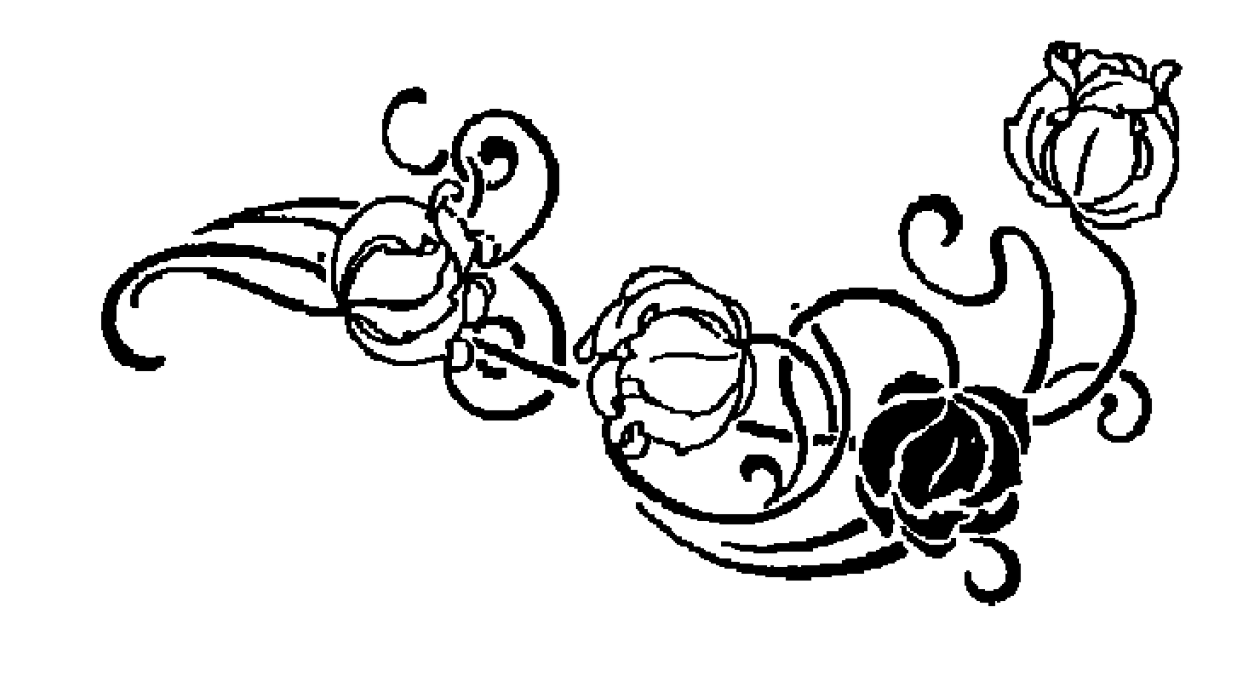
وبالـــريح لـــم يُسْمَـــع لهُنَّ هبـــوبُ

ولـــو أن أنفـــاسي أصـــابت بحرِّهـــا

حديـــداً إذنْ ظـــلَّ الحديـــدُ يـــذوب

ولـــو أننـــي أستغفـــر الله كلَّمـــا

ذكـــرتك لـــم يكتـــبْ علـــيَّ ذنـــوب



الباب الثالث

الشعر الّذي نتطلّعُ إليه

١ ـ القادر على التأثير في النفوس

٢ ـ المتألق الشكل والقالب

٣ ـ الخفيف الظّل والروح

٤ ـ المُجَمَّلُ بالبديع العفوي

٥ ـ ذو الطابـــع القصصي

٦ ـ الموقد لجـذوة الحماســة

٧ ـ المعالج لمشكلاتنا الاجتماعية

٨ ـ المتحفظ بالموسيقى بأنواعها



دعوت مرة شاعراً من الرياض من شعراء الحداثة ليلقي أمسية شعريَّة في نادي مكة المكرَّمة الأدبي فاعتـذر لي قائـلاً (إنَّ شعري غير منبري) وكان ذلك اعترافاً أنَّ شعره حين يُلْقى على مسامع الجماهير لا يؤثر فيهم .

والحقُّ أن معظم شعـر الحـداثـة لا يؤثـر في المستمعين لا لأنه خالٍ من الوزن والقـافيـة فحسب ، ولكنْ لأنه إلى جانب ذلك غامضٌ دخيلُ المضمون والشكل ثم هو بعد ذلك لسانُه عربيٌّ مخلَّع وفكره أعجميٌّ مريب .

من أجـل ذلـك عقـدتُ هذا البـاب وأكثرت فيه من النماذج بين عمودي وحُرّ لأثبت أن الحرَّ يمكن أن يُهدَى فيهتدى ، ولأتيح للقارىء أن يستمع إلى مايمتعه من روائع الشعر بعد أن حرم منها زمناً طويلاً في صخب القصيدة النثرية المزيَّفة .

ولقد استطلعت أذواق الكثيرين من المثقفين فتلوت عليهم النماذج ومنهم من أسـاتـذة الأدب في الجـامعـات من المشهود لهم بالذوق الأدبي الرفيع فأعجبوا بها فقلت إذن ليغضب العاذل أو يرضَ ما دام الحبيبُ جميلا .

وقديماً قال أبو الطيب رحمه الله :

وكـــا كمَدُ الحسَّـادِ شيءٌ قصـدته ... ولكنَّــه مَنْ يزْحم البحَـر يغـرقِ

أما من لا يعجبه أمثال هذه النماذج فأصدق ما ينطبق عليه هو قول أبي الطيب

نفسه :

وإذا خفيت على الغبيِّ فعَاذرٌ ألاّ تراني مقلَةٌ عمياءُ

أوّلاً : القادر على التأثير

نريدُ شعراً حالَما نقرؤه أو نسمعه (نحسُّ بتأثيره) ونتجاوب مع شاعره ونرى أنَّ الرجل عبّر عن قلوبنا وضمائرنا وقال ما نريدُ أن نقوله .

وقد يقول قائل إن الناس يختلفون في تأثرهم حسب أمزجتهم وثقافاتهم ومن ثمّ فهذا المقياس غير دقيق . وأقول إن هنالك قدراً مشتركاً بين كلّ الإنسانية من العواطف المتشابهة فالعاشق في اليابان كالعاشق في الاسكا والثاكلة في مدغشقر كالثاكلة في جزر الهاواي ونحنُ نتطلع إلى شعر يؤثر في هذا القدر المشترك مُن مشاعر الإنسانية . لقد قرأت في الشعر الانجليزى قصيدة رثاء في محارب انجليزى اسمه السير جون موريتحدث فيها الشاعر عن موتة المحارب الغريب وكيف خطَّ الجنود مضجعه بأطراف رماحهم قرأتها فذكرت حالاً قصيدة مالك بن الريب التميمى حين حضرته الوفاة وهو عائد من القتال قريباً من خُراسان فرثى نفسه بقصيدة في غاية التأثير يقول فيها مخاطباً صاحبيه .

وخُطَّا بأطراف الأسنة مضجعي وردّا على عينيَّ فضل ردائيا

خُذاني فجُرّاني بثوبي إليكما فقد كنت قبل اليوم صعباً قياديا

والحقُّ أن خاصّية التأثير القوي للشعر لا تنجم عن سبب واحد وإنما تشارك فيها كلّ العناصر الفنية من عاطفة وتصوير وشكل ومضمون فتتعاون معاً لتجعله قادراً على أن يبكي ويسترقص ويقطّع نياط القلوب .

وهذه أبيات من قصيدة مالك بن الريب التى رثى بها نفسه أجزم أنها تؤثر في كلِّ إنسان عربيًّا كان أم أعجميًّا رومانسيًّا كان أو كلاسيكياً :

تذكــرتُ مــن يبكــي علــيَّ فلـم أجـد
ســوى السيــف والــرمح الردينيِّ باكيـا
وأشقــر محبــوكٍ يجــرُّ عِنــانهُ
إلــى المــاء لم يـتركْ له الدَّهرُ ساقياَ
أيــا صاحبيْ رحلــي دنــا الموتُ فأنزلا
بــرابيةٍ إنــي مقيــمٌ ليــاليًا
ولا تنسيَــا عهــدي خليــليّ إننــي
تَقَطَّــعُ أوصــالي وتبلــى عظاميا
ألا ليــتَ شعــرى هل بكــت أمُّ مالـكٍ
كمــا كنــتُ لــو عالَــوْا نَعِيَّكِ باكيا
فيــا راكبــا إمَّــا عَرَضت [1] فبلِّغَنْ
بنــي مالــكٍ والــرَّيب أنْ لا تلاقيـا
وسلــم علــى شيخــيَّ منــى كليهمـا
وبلّغهمــا أنــي على العهــد باقيـا
وعطِّــل قلــوصي [2] فــي الرُّكـاب فإنها
ستُبْــردُ أكبــاداً وتُبكِــي بواكيا
وبالرَّمــل منــا نســوة لو شهــدنني
بكيْــنَ وفدَّيــنَ الطبيــبَ المداويـا
فمنهــنَّ أمــي وابنتــاى وخــالتــي
وبــاكيةٌ أُخــرى تهيــج البواكيــا

والحقُّ أنّـه ليس من السَّهـل على الشـاعـر أن يؤثر في مستمعيه لأن التأثير هو

---

(١) وصلت العارض . منطقة من نجد

(٢) ناقتــي

عصارةُ جميع العناصر البديعة . والقارىء أو السّامع لا يتأثر باللفظ الركيك ولا بالمعنى السوقي حتى ولو صدر عن عاطفة قوية وقديماً سخر الناس من الشاعر الذي قال :

باض الهوى في فؤادي وفـــرّخ التذكـــارُ

لقد مرَّ عليّ في العام الماضي أكثر من عشرة دواوين جديدة لم أستطع أن أضُمَّ لمختارتي منها بيتاً واحداً وخصوصاً مما يسمونه الشعر المنثور وكنت إذا قسرت نفسي على قراءتها أحسست أني أتجرع كلوريد البوتاميوم .

وهنا يتيح ليَ السياق أن أهدي إلى القارىء هذه الطاقة الجميلة من أزهار الشعر المؤثر في وقت صوَّح فيه روض الأصالة وصمتت عنادلها .

يقول يزيد بن الطثرية في موقف وداع :

ولمـــا وَقَفْنَـــا للرَّحيـــل جِمـــالَنا
وجـــدٌ بنـــا وَجْـــدٌ وســـالت مـدامعُ

تَبَـــدَّتْ لنَـــا مـــذعورة من خبـــائها
ونـــاظرُها باللـــؤلؤ الـــرَّطب دامـــعُ

أشـــارت بـــأطراف البنـــان، وودعـــت
وقـــالت بعينيهـــا : متـــى أنـــت راجعُ

فقلـــتُ لهـــا والله مـــا مـــن مسافـــرٍ
يسيـــرُ فيـــدري مـــا بـــه الله صـــانعُ

فشـــالت نقـــابَ الحُسْـــن عن حُرِّ وجهها
وســـالت من الطّـــرف الكحيـــلِ المـدامعُ

وقـــالت : إلهـــى كُـــن عليـــه خليفـــةً
فيـــاربِّ مـــا ضـــاعت لـــديك الـــودائعُ

ومن شعر العشاق العذريين كثيرٌ من هذه الألوان من الإبداع المؤثر كقول مجنون بنى عامر :

أرانـــي إذا صليـــت يممـــت شطرهـــا
بـــوجهي وإن كـــان المُصَلَّـــى ورائيـــا

أصلّــــي فمـــا أدري إذا مـــا ذكرتهـــا

أثنتيـــن صليـــت الضحـــى أم ثمـانيا

ومـــا بـــي إشـــراكُ ولكـــنّ حبَّهـــا

وطـــولَ الجـــوى أعيـا الطبيبَ المداويـا

يقـــولون ليلـــى بالعـــراق مـــريضةٌ

ويـــاليتني كنـــتُ الطبيـــب المداويـــا

وقول جميل :

أرى كـــلَّ معشـــوقين غيـــري وغيـــرها

يلـــذّان فـــي الدنيـــا ويلتقيـــان

أصلّـــي فـــأبكي فـي الصـــلاة لذكرهـــا

لـــيَ الـــويلُ ممـــا يكتُـــب الملكانِ

وهذا نموذَج من الشعر الحرّ قرأته،فأثّر في نفسي وهو للشاعر السُّوداني الذى نشأ وعـاش بمصـر محمـد مفتاح الفيتورى من قصيدة بعنوان (مذكرات حاجّ يخاطب فيها رسول الله ﷺ وقد سبق أنْ قلت إنّ من الشعر الحرِّ ما يتسع له صدر الشِعر العربيّ :

يا سيّـــدي

عليك أفضلُ الســـلامْ

من أمـــةٍ مضاعـــه

خاسرةِ البضاعَهْ

تقذِفُها حضارة الخراب والظلام

يا سيـــدى

منذ رَدَمْنَا البحَر بالسدودْ

وانتصبتْ ما بيننا وبينكَ الحدوهْ

مِتْنَا وداستْ فوقنا ماشيةُ اليهود

ولعلّ من أروع نماذِج الشعر المؤثر هذين البيتين لشاعر اسمه امرؤ القيس بن

عابس وكان يعشق فتاة من أبرع خلق الله جمالاً وأتمّهم أدباً وكمالاً وكانت تتظاهر أنها لا تأبه به حرصاً على سمعتها وضنّاً بكرامتها فمرض امرؤ القيس من الوجد مرضاً شديداً حتى أشرف على الموت وبلغ خبرُه الحبيبة فعطفت عليه وقالت في نفسها أزوره مع العائدات لعلّي أخفف عنه واصطحبتْ بعض أترابها فدخلن عليه وقلن له هده فلانة جاءت تسلّم عليك . فحاول الجلوس ولكنَّ المرض غلبه فدنت هي منه وسلَّمت عليه وأظهرت نحوه شعوراً من الحنان والتعطف ولكن بعد فوات الأوان فنظر إليها نظرة جمعت كلَ معاني الأسى والسرور وأنشد

ولمـــا رأتْنــــي فــــي النـــزاع تعطَّفَـــتْ
علــيَّ وعنـــدى مـــن تعطُّفِهـــا شُغْـــلُ

دَنَـــتْ وحيـــاضُ المـــوت بينــي وبينها
وجـــادتْ بـــوصلٍ حيـــث لا ينـــفعُ الـــوصلُ

ومن قبيل هذا الشعر المؤثر هذه المقطوعة من الغزل لجرير ومن العجيب أنها وردت في مطلع قصيدة هجاء هجا بها الأخطل .

بـــان الخليـــطُ ولـــو طـــووِعت مـــا بانا
وقطَّعـــوا مـــن حبـــال الـــوصل أقـــرانا

حـــيِّ المنـــازلَ إذ لا نبتغـــي بـــدلاً
بالـــدار داراً ولا الجيـــران جيرانـــا

لا بـــارك الله فـــي الدنيـــا إذا انقطعـــت
أسبـــاب دنيـــاك من أسبـــاب دنيـــانا

يـــاحبذا جبـــلُ الـــرَّيّان من جبـــلٍ
وحبـــذا ســـاكنُ الـــريان مَـــن كـــانا

وحبـــذا نفحـــاتٌ مـــن يمـــانيَةٍ
تـــأتيك مـــن قبـــل الـــرَّيان أحيـــانا

هبـــتْ سحيـــراً فـــذكرى ما ذكـــرتكمُ
عنـــد الصفـــاةِ التى شرقيَّ حَوْرانـــا

إنَّ العيـــونَ التـــي في طرفهـــا حــورُ
قتلننـــا ثـــمَّ لـــم يحيـيـــنَ قتلانـــا
يصـــرعنَ ذا اللـــبِّ حتـــى لا حـــراك بـه
وهـــنَّ أضعـــف خلـــق الله إنسانـــاً

وهذه صرخة غنائية مؤثرة لابن زيدون :

متـــى أبُثُّـــكِ مـــا بـــي	يـــا راحتـــي يـــا عـــذابي
متـــى ينـــوبُ لســـاني	فـــي شـــرحه عـــن عتابي
يـــا سلـــوة المتعـــزّى	ومُنْيَـــةَ المتصـــابي
الشمـــسُ أنـــتِ تـــوارت	عـــن نـــاظرى بالحجـــابِ

ومن الأبيات المؤثرة هذه المقطوعة التى تصوِّر الذوق والعفاف في معاملة الجيران .

يقول العجير السَّلُولي :

يَبيـــنُ الجـــارُ حيـــنَ يبيـــنُ عنـــي
ولـــم تـــأنسْ إلـــيَّ كـــلابُ جـــاري
وتظعـــنُ جـــارتي مـــن جنـــب بيتـــي
ولـــم تُستَـــر بسْتـــر مـــن جـــدار
وتـــأمنُ أنْ أطـــالعَ حـــين آتـــي
عليهـــا وهـــي واضعـــة الخمـــار
كذلـــكَ هـــديُ آبـــائي قديمـــاً
تـــوارثه الكَبـــارُ عـــن الصغـــارَ





نريد شعراً متألق القالب والشكل

ونألُقُ القالب لا يتأتى إلا لشاعر موهوب أوّلاً وخبير باللغة ثانياً نريد شعراً ألفاظه تامّة الخصائص بحيثُ يكون أبرز خصائصها أن تكسو المعاني حُلَّة متناسقة ملائمة لطبيعتها . تقرأها في النسيب كثوب الحرير المتموِّج وتقرأها في الشكوى رقراقة كالجدول الشفاف وتقرأها في مواطن الحماسة متفجّرة لها دويّ . نريد شعراً يقف عند مستوى رفيع في القالب لا يتدنّى عنه ولا نريد شعراً يحطب الفاظه من كُناسة التعبير بين عامّية وحوشية ومبتذلة . نريد شكلاً تعبيريًّا أنيقاً نظيفاً يبدو فيه أثر الثقافة اللغوية العالية وأثر الموهبة الأصيلة الغزيرة . نريد شعراً يحوّل الحروف أنغاماً تداعبُ السمع فيدقُّ لها القلب . أمّا كيف يتأتى ذلك فالطريق لا شكَّ شائك لا يقوى على اعتسافه إلا أهل الأدب والدَّأب . إن أداة الفنّ الشعري لا تعطي مقاليدها إلّا شاعراً يتصرَّف في الألفاظ كأنها كثبان رملٍ على شاطيء عبقري يُشكل رملها كيف يَشاء . أما أن يأتيك إنسان لا يكاد يمّيز الفاعل من المجرور فيدّعى أنه مُبدعُ بمفهوم الحداثة فذلك شأن مَنْ سفهَ نفسه وجهل أدبه وارتضى أن يكون رابع الشعراء .

وهـذا هو الـداءُ الـوبيل الذى سرَى في كثير من أهل الحداثة إذ الجو التعبيري عنـدهم موبـوء بالأخطـاء وضـآلـة المـادة . وإني موردٌ هنـا نماذج لشعـراء قدامى ومحـدثـين ممن أتـوا في قوالبهم موهبة عجيبة منهم البحتري من القدامى . وعلي محمود طه وإبراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل ونزار من المحدثين .

من ذلك قولُ علي محمود طه من قصيدته (القمر العاشق)

إذا مـا طاف بالشـرفة ضوء القمـر المُضْنَى

ورفّ عليـك مثـلَ الحُكْم أو إشراقةِ المعنى

وأنـت على فـراشِ الطُّهرِ كالـزنبقة الوسْنَى

فضمـي جسمك الغـالي وصـوني ذلـك الحسنـا

ولعـل النمـوذج التـالي من شعـر الأخطـل الصغير من أصدق نماذج الموسيقى اللفظية الراقية .

نَصَـبَ الحُسـنُ عـرشَه فَسـألنا

مـن تَراهـا لـه فـدَلّ عليـكِ

فـاسكبي روحَـك الحنـون عليـه

كـانسكاب السمـاء فـي عينيـكِ

مـا تغنّـى الهـزارُ إلا ليلقـي

نغمـات الجمـال فـي أُذُنيـكِ

قتـل الـوردُ نفسـه حسـداً منـكِ

وألقـى دمـاه فـي وجنتيـك

والفراشـات ملَّـت الـزهر لمَّـا

حدثتهـا الأنـام عـن شفتيـك

سكـر الـروض سكـرةً صـرعْتهُ

عنـد مجـرى العبيـر من نهـديك

وانظر إلى هذه الأبيات الثلاثة للبحتري يفخر فيها بقومه وتأمّل على الأخصّ انسياب القافية

يَحسُنُ الذكرُ عَنهْمُ والأحاديثُ
إذا حدَّثَ الحديدُ الحديدا

في مقام تخرُّ من ضنكه البيض
على البيض ركَّعاً وسجودا

فاذا المَحْلُ جاء جاءوا سيولاً
وإذا النّقع ثار ثاروا أسودا

ومن نماذج ابراهيم ناجى قوله من قصيدة الأطلال وهي قصيدة أوضح خصائصها روعة الآلة التعبيرية .

يا حبيباً جئت يوماً أيكَهُ
طائرَ الشوق أغني ألمي

لك إبطاءُ المدلِّ المنعم
وتجنّي الظالم المتحكم

وحنيني لكَ يكوي أضلعي
والثواني جمراتٌ في دمي

ومن الألفاظ الرائعة الإشراق ما نقرؤه في هذه الأبيات لمحمود حسن إسماعيل يخاطب بها النيل من قصيدته (النهر الخالد) .

سمعتُ في شطِّك الجميلِ
ما قالت الريحُ للنخيلِ

يسبِّح الطيرُ أمْ يُغني
ويشرحُ الشوق للخليلِ

وأغْصنٌ تلك أم صبايا
شربنَ من خمره الأصيلِ

ومن الومضات التعبيرية لنزار هذه الأبيات من قصيدته (أيظنُّ)

حمل الزهور إلَيَّ كيف أردُّهُ
وصبايَ مرسومٌ على شفتيه

خبّأت رأسي عنده وكأنني
طفلٌ أعادوه إلى أبويه
سامحته وسألت عن أخباره
وبكيت ساعات على كتفيه
وبدون أن أدرى تركت له يدي
لتنام كالعصفور بين يديه



ثالثاً : الخفيف الظل والروح

حين يكون الشاعر لطيفاً خفيف الظل والروح ينعكس لطفه وخفة روحه وظله في مرآة شعره المجلوّة وقد ساءني في هذه الأيّام أنَّ كثيراً من الشعر يعكس لصاحبه صورة كزَّة ثقيلة كأنها الكابوس الجاثم على صدر القارىء .

إننا نريد شعراً نلمس فيه خفة روح صاحبه وخفة روح موضوعه . نريدُ شعراً إذا قرأنـاه ارتسمت على الشفـاه ابتسـامـة رضا وسرور وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الشـاعـر لطيفـاً بلا تكلُّف لأن التكلُّف للطف يجعله كالابتسـامة المرة الصفراء . والحقُّ أن معظم شعـر الحـداثـة في هذه الأيّـام لا يستطيـع أن يرسم على الشفاه ابتسامة . لأنه يصدر في معظمه عن نفوس يلُفها سوادُ العبودية الفكرية وقد يقول قائـلٌ : نحنُ في هذه الأيـام إلى العـزيمـة الجـادّة أحوج منا إلى الثغور الباسمة ونحنُ نقـول ياليت شعـر الحـداثة دعانا إلى العزائم الجادّة المجاهدة . لقد كتب أدونيس نقداً للشاعر الفلسطيني محمود درويش أخذ فيه على شعره أن فيه رائحة لا يحبُّها ولا يرتاح إليها ألا وهي رائحة الجهاد . وسأعرض نماذج تقرؤها فتحس أن الشاعر جليسك يمتعك بظله الخفيف ومزاجه الظريف وروحه اللطيف يقول أحدهم في غادة بدت له في حلة خضراء :

بـــدت فـــي قميـــص لهـــا أخضَـــر
كمـــا سَتَر الـــوَرقُ الجلّنارة(١)

فقلـــت لهـــا : ما اسم هذا اللباسّ ؟
فقـــالت : نسّميـــه شَـــق المـــرارة

وهذه أبيات ذات تشبيهات عادية لا طرافة فيها لكن خفَّة روح الشاعر جعلتها ظريفـة حلوة وهى لشـاعـر اسمـه الخبـز أرزي عباسيّ من نسل الحسن بن علي رضى الله عنهما :

رأيـــتُ الهـــلال ووجـــه الحبيـــب
فكـــاناً هـــلالينِ عنـــد النَّظر

فلـــم أدر مـــن حَيْرتـــي فيهمـــا
هـــلالَ السمـــا من هـــلال البشرْ

ولـــولا التَّـــوَرُّدُ في الـــوْجنتين
ومـــا راعنـــي من ســـواد الشَّعَـــر

لكنـــتُ أظُـــنُّ الهـــلال الحبيـــبَ
وكنـــت أظـــن الحبيـــبَ القمـــر

ومن أطـرف الأبيـات التى تعكس خفـة دم الشـاعـر قول ابن مُسْلم يتغـزَّل بجارية سوداء وجْهُها كالفحم :

لام العـــواذل فـي ســـوداء فـــاحمة
كـأنها من نفـــيس المســـكِ تمثـــال

فقلـــت لا تعذلـــوني إنَّ لـــي نظـــراً
فـــي الحســـنِ والحســـنُ ألوانٌ وأشكالُ

النـــاسُ تعشَـــقُ من خـــالٌ بـوجنته
فكيـــف بـــي وحبيبـــى (كُلُّـــه خالُ)

واقرأ هذين البيتين من أحلى نماذج خفة الدم :

مَـــرَّتْ بحـــارسِ بُستـــانٍ فقـــال لها
ســـرقْتِ رُمَّـــانَ هـــذا الصدّر من شجرى

فصـــاح في وجنتيهـــا الجُلنـــارُ[1] لقد
ظَلَمتَهـــا ، إنَّ هذا النَّهـــدَ من ثمرى

وقال شاعر يتغَزَّل في فتاة سودانيةٌ كان على خدِّها شرطٌ أي جرحٌ بالمشراط للزينة :

بـــروحيَ مشروطـــاً على الخَـــدِّ أسمراً
وقـــد رقَّ لي بعـــد التجنُّـــب والسُّخْط

وقـــال : على اللَّثـــم اشترطْنـا فلا تزدْ
فقبَّلتُـــه الفـــاً على ذلك (الشَّـــرْطَ)

ومن الأبيـات التى نلمس فيهـا خِفَّـة ظِلِّهـا مع أن بشَّـارا قائلها كان من أثقل الناس جُثَّةً :

يـــا حلـــوةَ القـــدِّ إنـــي لا أُسمّيـــكِ
لكـــنْ أكنـــيّ بأسمـــاءٍ وأعنيـــكِ

---

(١) زهرة الرُّمان

أخشـــى عليـــك من الجـــارات حـــاسدةً
أوْ سَهْـــمَ غيـــران يـــرميني ويـــرميك

يـــا أطيـــبَ النـــاس ريقـــاً غير مختبرَ
إلا شهـــــادةَ أطـــــراف المســـــاويكِ

قـــد زُرتنـــا مرَّةً في العمـــر واحدةً
عُـــودي ولا تجعليهـــا بيضـــةَ الـديكِ

وكان شعر البدو خفيفاً معظمه ومن ذلك ما قاله بدويٌّ اسمه منظور بن سحيم وقد خطب امرأةً فأرتْه نجومَ الظهر من شراستها فباع حماراً له وجُبَّة وافتدى نفسه منها وأنشد :

ذهبْـــتُ إلى الشيطـــان أخطـــبُ بنتَـــه
فـــأوقعها مـــن شقـــوتي فـــي حباليـــا

فـــأنقذني منهـــا حمـــاري وجُبتـــي
جـــزى الله خيـــراً جُبتـــي وحمـــارياً

ومن الطرائف الممتعة ذات الظّل الخفيف هذه الأبيات الغزلية التى توحى لك في النظرة الأولى أن المحبّ له ثأر عند حبيبه ومن ثُمَّ فهو يستعدي الريحَ أن تنتقم له من هذا الجميل المتحكم والأبيات للطغرائي من شعراء العصر العباسى الثاني :

بـــالله يـــا ريـــحُ إنْ مُكِّنْـــتِ ثانيةً
مـــن شَعْرِهـــا فأَقيمي فيـــه واُستـــري

وراقبـــي غفلـــةً منهـــا لتنتهـــزى
لـــي فُرصـــةً وهي في نـــومٍ فتنتصـــري

وبـــاكري عَـــذْب شَهـــدٍ منْ مُقَبّلِهاَ
يحلـــو به اللثـــمُ بيـنَ الطِّيبِ والخَصَرِ(١)

---

(١) البرودة والعذوبة

وإن قــدرتِ علــى تشــويش طُرَّتهــا

فشَوِّشيهــا ولا تُبقــي ولا تــذري

وطَوِّفــي حــول نهْدَيْهــا لتغتسلــي

فــي مــوجة العطــر بين الوردِ والصَّدَرِ

ثــم ادخلــي بين ثوبيهــا علــى مَهَلٍ

وارْوَيْ من الطيــبِ وائتينــي على قَدَرِ

ونبّهينــــيَ دون القــــوم وانتفضــــي

علــيَّ والليــلُ في شَــكٍّ من السَّحَرِ

لعــلَّ نفحــةَ طِيــبٍ مــن معذّبتــي

تشفــي غليــلَ محــبٍّ دائــم السَّهـرِ

ومن النماذج الظّريفة قول الشاعر :

لاح لــــي وجهُهـــا بيـــاب الطــاقِ

ظبيَّــةٌ مــن مخــدَّرات العــراقِ

قلــت مــن أنــتِ يــا غــزالُ فقالتْ

أنــا مــن لُطْــفِ صنعــةِ الخلَّاقِ

لا تَــرُم وَصلَنــا فهــذا بنــاني

قــد صبغنــاه مــن دم العشــاقِ

ومن الشعر الـذي يرسم الابتسامات هذه الرسالـة الشعرية التي بعث بها البوصيريُّ رحمه الله إلى أحد الوزراء يشكو إليه كثرة العيال وقلة المال :

يــا أيهــا المــولى الوزيـرُ الـذي

أيــامُهُ طــائعةٌ أمْــرَهْ

إليــكَ نشكــو حــالَنا إنّنـا ـ

حاشــاكَ ـ مــن قــوم أُولي عُسْرهْ

فــي قِلَّــةٍ نحــنُ ولكــنْ لنا

عائلــةٌ فــي غــاية الكثْــرهْ

إنْ شربـــوا البئـــرُ زيـــرٌ لهـم
والشُّربـــةُ الواحـــدةُ الجَـــره

وأَقبـــلَ العيـــدُ ومـــا عنـدهم
قمـــحُ ولا خُبـــزٌ ولا فُطـــرهْ

يـــا ويلَهـــم إن عاينـــوا كعكـــةً
فـي يـدِ طفـــلٍ أو رأوا تَمـــرْهْ

تشخَـــصُ أبصـــارهمُ نحـوَها
بِشهقـــةٍ تتبعهـــا زَفْـــرهْ

كـــم قـــائلٍ يـــا أبتـــا أعطِنا
قَطعْـــتَ عنـــا الخيـــرَ بالمرّهْ

وأنـــت فـي خـدمة قـــومٍ فهـــلْ
تخـــدمُهم يـــا أبتـــي سُخْـــرهْ

وأمـــسِ زرات زوجتـــي أختهـــاَ
والأخـــت فـــي الغيـــرة كالضـــرَّهْ

وأقبلـــتْ تشكـــو لهـــا حـــالَها
وصبرَهـــا للعيشـــةِ المُـــرَّهْ

قـــالت لهـــا كيـــف تكون النِّســـا
كـــذا مـــع الأزواجِ يـــاعِـــرَّهْ

قـــومي اطلبـــي حقَّـــك منـــه بـــلا
تلكُّـــؤ منـــكِ ولا فتـــرهْ

وإن تـــأبّي فخـــذى ذَقْنَـــهُ
ثـــم انتُفيهـــا شَعْـــرةً شعـــرهْ

قـــالتْ لهـــا .. ما هكـــذا عـــادتي
لأنَّ زوجـــي عنـــده ضَجْـــرهْ

أخـــافُ إن كلمتُـــه كِلْمـــةً
طلَّقنـــي . قـــالت لها (بَعْرهْ)

وهـــوّنت قـــدري فـي نَفْسِهـــا
فعـــادت الـــزوجةُ مُحْتَـــرَّهْ
وعـــربدت حـــولي فهـدّدتُهـــا
فاستقبلـــت رأســـى بـــآجُرَّهْ
ومـــن تكـــن حـــالتُه هـــذه
لينظـــر المـــولى لـــهُ نْظـرهْ

وقال بعضهم :

ســـألتُها قبلـــةً يومـــاً وقد نظرتْ
شيبـــي وقد كنـــتُ ذا مـالٍ وذا نَعَمِ
فـــأعرضت ثـــم قـــالت وهـــي غـاضبةٌ
لا والـــذي خَلَـــقَ الأشياءَ من عَدَمِ
مـــا كـــان لي في بيـــاض الشيبِ من أربٍ
أفـــي الحيـــاةِ يكون القُطنُ حَشْوَ فمي

ومثله قول أبي الحسن الجزار يهجو زوجة أبيه :

تـــزوَّج الشيـــخُ أبـــي شيخـــةً
لـــيس لهـــاَ عْقـلٌ ولا ذِهْـــنُ
لـــو بـــرزت صـــورتها فـي الـــدُّجى
لخـــاف مـــن منظرهـــا الجـــنُّ
كـــأنها فـــي فَـــرْشها مَيْتَـــةٌ
وشعرهـــا مـــن حولهُـــا قطـــنُ
وســـائلٍ يســـأل كـــم سِنُّهـــا
فقلـــت : مـــا فـــي فمهـــا ســـنُّ

وهذه طرفة في الهجاء من شعر أبي نواس تقرؤها فتحسُّ أنَّ صاحبها ظريف

أيا مَنْ سكراتُ الموتِ
مـــن طلعتـــه أروحْ
فمـــا تصلـح أن تُهجَى
ولا تصلـــحُ أنْ تمـدحْ
بلـــى تصلح أن تُسَجن
أو تُصْلَـــبَ أو تُذبحْ

فيـــا ليتَك إن أمسيت لا تصحُــــو ولا تَصْبحْ

ويا ليتـــك في بحـــرٍ ومـــا تقدرُ أنْ تسبحْ

وللشـاعـر ابن دعلج تجربـةٌ مضحكة مبكية يمكن أن نسّميها (أعرابيٌّ غريم) ترسم صورة للبدوي حين يكون له دَيْن على إنسان ويبدو أنّ ابن دعلج كَان يحبُّ بني تميم ويـراعي شئـونهم فلما لقي من الأعـرابي عنـاءً شديداً كتب الرقعة التالية وأرسلها الى احد شيوخ بني تميم . وتبدو فيها خفة روح ابن دعلج :

إذا جئـــت الأميـــر فقـــل ســلامٌ

عليـــك ورحمـــة الله الـــرحيـمِ

وأمـــا بعــدَ ذاك فلـــي غـــريمٌ

مـــن الأعـــرابِ قُبّــح مــن غَريمِ

يـــلازم كـــلّ يـــوم بـــاب داري

لـــزوم الكلـــب أصحابَ الرَّقـــيمِ

لـــه مـــائة علـــيَّ ونصـــف أُخرى

ونصـــف النصـــف فـــي صَـــكٍّ قديمِ

دراهـــمُ مـــا انتفعـــت بـهـا ولكـن

قـــريتُ بهـــا شيـــوخ بنـى تميمِ

على أنَّ من الشعـر ما يكـون ظريفـاً وحكيماً معاً كقول دعبل الخزاعي يصف حال الرَّجل الكريم حين يُبتلى بتجهم إنسان ساقط فيكون الأمر كارثة :

ولـــو أنـــي بُليـــتُ بها شمـــيّ

خئـــولته بنـــو عبـــد المـــدانِ

لهـــان علـــيَّ مـــا القـــى ولكـــنْ

تعـــالوا وانظـــروا بمـــن ابتـــلاني

ومن الشعر الطريف حول فائدة الشكوى للصديق :

شكـــوت إلـــى عمـــرو خفايـــا جـوانحي

وجرَّعتـــه مـــن مُـــرّ مـــا أتجرّع

وقـــد تنفـــع الشكـــوى إلى ذي مـــروءةٍ
يـــواسيك أو يُسليـــــك أو يتـــوجعُ

وللأحنف العكبري يصف حاله مع الأحلام :

وأحلـــمُ فـــي المنـــام بكـــلّ خيرٍ
فـــأصبـــح لا أراه ولا يـــــراني
ولـــو أبصـــرت شـــرًّا فـــي منـــامى
تحقـــق حُلْمنـــا قبـــل الأذانِ

وهذان بيتان فيهما ظرف وحكمةٌ معاً :

وأشـــدّ مـــا ألقـــاه من الجـــوى
قـــربُ الحبيـــب ومـــا إليه وصـــولُ
كالعيـــس في البيـــداء يقتلها الظمأ
والمـــاء فـــوق ظهورهـــا محمـــولُ

ولبرهان الدين القيراطي يذكر الشعر البارد :

سئـــم الكـــرامِ الشعر غثًّـــا بارداً
إنّ احتقـــار الغـــثّ ليـــس بعـــار
لـــم يسئمـــوا بذلَ العطـــاء وإنمـــا
بـــردَ النَّـــدى لبـــرودة الأشعـــار

وهذه رسالة شعرية أرسل بها برهان الدين القيراطي إلى صديق متكبرّ يعلن فيها قطع العلاقات معه :

أخـــي والله قـــد ملـــيء الوطـــابُ[1]
وداخلنـــــي بصحبتـــك ارتيـــابُ
رجـــوتُك مـــرَّةً وعتـــبتُ أُخـــرى
فمـــا أجـــدى الرَّجـــاءُ ولا العتابُ

---

(١) سقاء اللبن .

نبـــذتَ مـــودّتى فـــاهناً بغيـــري
وآخِـــرُ عَهدِنـــا هذا الكتـــابُ

وقـريبٌ من هذا قول صقـر الشبيب رحمـه الله وكـان صقـر شاعراً يجمع لطف الروح والصراحة :

ولمـــاً لـــم أجدْ في النـــاس حُرًّا
يُعيـــنُ علـــى مُلمّـــات الأمـــور

نبـــذتُ النـــاس ظِهريًّـــا ورائـــي
ونـــاديتُ المنـــونَ ألا فـــزوري

فمثلـــي مـــاله في النـــاس عيـــشٌ
وهـــل فـــي العيـــش خيـــرٌ للفقيـــر

أخـــاف إذا بقيـــتُ تـــذلُّ نفســـي
علـــى طمـــعٍ لـــذي مـــالٍ كثيـــرِ

فـــأمدحه مـــدائحيَ اللـــواتي
تعـــزُّ علـــى الفـــرزدق أو جـــريرِ

فيجـــزيني علـــى شعـــري شعيـــراً
ومـــا أنـــا في البغـــال ولا الحميـــرِ

ولكنّـــي (كمـــا سُمّيـــتُ) صقـــرٌ
وهـــل أبصـــرتَّ ذُلّاً فـــي الصقـــور

رابعاً : نريدُ شعراً يجمّلُهُ البديعُ العفويّ

★★★

إن التنكر للتراث البديعي يُفقد أدبنا عنصراً هامًّا من مقومات إمتاعه . لأن البديع بلا شك يجّمـل الكـلام ويُحلّيـه . على ألاّ يُغْرق الشعـراء في البديع فيشطَّ بهم إلى التكلُّف المصنـوع ، ولقـد كان البـديـعُ يقع عفويًا في الشعر الجاهلي والإسلامي

ومطلع العصر العباسي وكان لذيذاً يحدث في النفوس ارتياحاً . فظنّ بعض الشعراء أنَّ هذا البديع لو كثر وتكرر فإن المتعة تتكرر معه . وعندئذ اكثروا من البديع كما فعل أبو تمام وحذا حذوه معاصرو ابن العميد ففسد الشعر وكان مثلهم كمن يضع في الطعام حفنة من الملح ليعتدل طعمه فيفسد من حيث أراد له الصلاح .

والحق أن البديع كملح الطعام وهو حين يأتي في عفوية واعتدال يطرب ويمتع وقد كان شوقي رحمه الله يستعمل البديع بمعقولية فيطرب ويعجب كقوله رحمهُ الله :

ولـي بيـن الضلـوع دمٌ ولحـمٌ
همـا الـواهي الـذي ثكل الشبابا
تسـرّب فـي الـدموع فقلـت ولّـى
وصفّـق فـي الضلـوع فقلـتُ آبـا

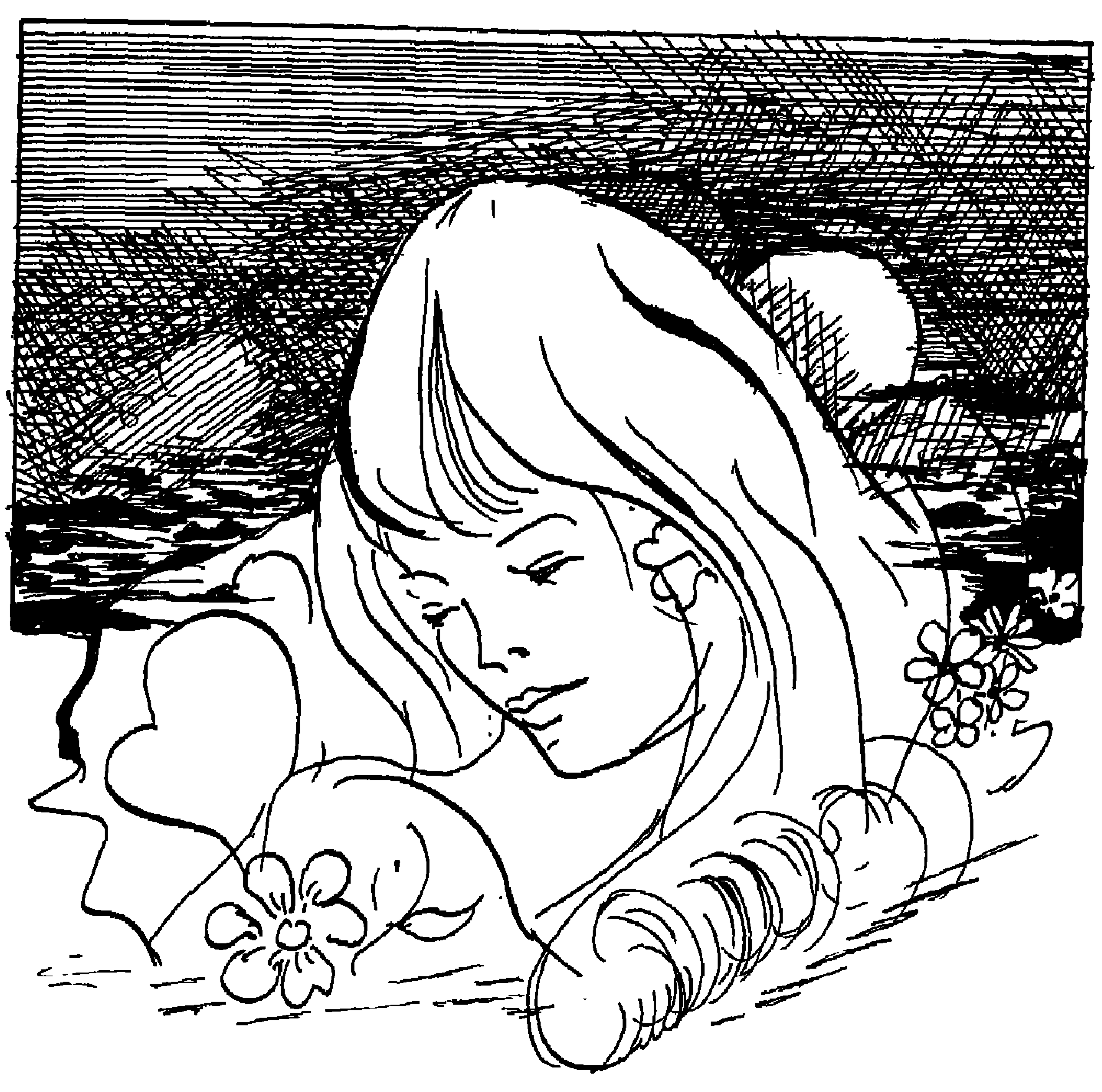
وكقول إبراهيم ناجي رحمه الله :

يـا فـؤادي لا تـسل أيـن الهوى
كـان صرحـاً مـن خيـال فهوى
أسْقنـى واشـرب علـى أطـلاله
واروعـي طالمـا الـدمع روى

وكقول علي محمود طه رحمه الله :

شـاعت الفـرحة فيهـا والمسـرّةْ
وجـلا الحـبُّ علـى العشـاقِ سرّهْ
يمنـةً مِـلْ بى على الماءِ ويسرهْ
ليـت هذا الليـلَ لا يُطلـع فجْرهْ

لقد كنا وما زلنا نقرأ كثيراً من الأبيات ذات الحلية البديعية فنستمتع بها وبخاصةٍ الطباق والجناس والتورية وحسن التعليل وأسلوب الحكيم وتأكيد المدح بما يشبه الذم ومراعاة النظير .



فمن التـوريـات التى حفظتهـا لأني طربت لها قول شاعـر مصـري اسمـه عبدالواحد الرشيدي يهجو قاضياً :

وقـــاضٍ تُعَطّـــلُ أحكـــامُه

وأحكـــام زوجتـــه مـــاضيَهْ

فيـــاليتَـــهُ لـم يكـنْ قاضيـــاً

ويـــاليتها كـــانت القـــاضيهْ

ومن ذلك قول ابن منظور يخاطب حبيبه الظاعن إلى وادي الأراك والأراك كما هو معروف شجر تؤخذ منه أعوادُ السِّواك :

بـــالله إن جُـــزتَ بـــوادي الأراكْ

وَقَبّلـــتْ أغصـــانُه الخُضْـــرُ فـاكْ

ابْعَثْ إلى المحروم من بعضه
فإنني والله مالي سواكْ

وقال الشاعر مستخدماً في توريته الفاظاً من علم مصطلح الحديث :

نَقَل الأراكُ بأن ثغرك شهدُه
من خمرة مُزجت بماء الكوثرِ
قد صحَّ ما نقل الأراكُ لأنّه
يرويه نَصّاً عن صحاح الجوهرِ

وصحاح الجوهريّ قاموس ممتاز معروف لكنّ الشاعر يقصد تلك الأسنان التى تشبه الجواهر الصحاح . ومن التوريات المتأثرة بالقرآن الكريم وأسماء السُّوَر قول أحدهم :

أناشدُه الرحمن في جمع شملنا
فيقسم هذا لا يكون إلى الحشر
إذا ما غدا مثل الحديد فؤادُه
فوالعصر إنَّ العاشقين لفى خُسْر

وهذا بيت فيه توريتان لطيفتان في كلمة (جد) ومعناها الحظ وكلمة (خال) والخال حبة سوداء مخضرة تكون في الخد :

وكنت أخا ليلى فأصبحتُ عمَّها فياليت لي جدًّا بتقبيل خالها

وهذه مقطوعة لصفي الدين الحلّي على هيئة حوار يَشيع فيه محسّن بديعي يسمى أسلوب الحكيم وهو أن يكون السُّؤال أو الكلام عن شيءٍ معّين ويكون الجواب عن أمر آخر :

قالت كحلْتَ العيونَ بالوَسَنِ
قلتُ انتظاراً لطيفكِ الحَسَنِ
قالت تشاغلتَ عن محبتنا
قلتُ لها : بالبكاء والحزَنِ
قالت تسلّيتَ بعد فرقتنا
فقلت عن راحتي وعن سكني

قـــالت تخــــلَّيت قلـــتُ عـــن جَلَدي
قـــالت تغيّـــرت قلـــت فـــي بـــدني

قـــالت أذعـــت الأســـرار قلـــت لهـا
ســـريرتـي فـــي هـــواكِ كـالعلـــنِ

قـــالت ســـررت الأعـــداءَ قلـــت لهـا
ذلـــك شـــيءٌ لـــو شئـــتِ لم يكـــنِ

قـــالت فمـــاذا تـــروم قلـــت لهـــا
ســـاعة سَعْـــدٍ بالـــوصل تسعـــدني

وكانت تشدُّني بعض مطالع القصائد لما فيها من بديع فأحفظها كقول بعضهم من التورية والجناس :

جـــوري فـــوَرْدُك فـي خـــدُودك جوري . .

وكقول الآخر الله جـــارُكَ إن دمعـــيَ جـــاري . .

وما أريد بسط الكلام والنماذج في هذا العنصر بالذات حتى لا يفهم منه أنني أعشقُ التكلُّف . لكنني بدون تحفظ أدعو إلى الحفاظ على تراثنا البديعي فهو لا يخلو من قدرة بلاغية على التجميل والتشويق .



خامساً: الطابَعُ القَصَصيّ

نتطلّع أيضاً إلى شعر له طابـعٌ قصصي وأسلوبٌ حِواريٌّ لأن في الإنسـان غريزة حبّ القصص وقـد كنت أستخـدم القصـة في العمليـة التعليمية فأستعمل الحوار بين الأدوات النحـويـة وأحيـانـا أرى درس النحـو صعباً فأقول للُّطلاب/إذا أحسنتم الإصغـاء وفهمتم المـادَّة قصصت عليكم قصـة ما سمعتمـوهـا في حياتكم فأرى عنـدئـذ إصغـاء وتفهُّـماً عجيبـين وحسبـك دليـلاً على عشق القصـة أن قصص

الأطفال التى يعرضها الرائي كثيراً ما يكون حولها عدد من اللحى البيضاء تشاهدها وتصْغي إلى أساطيرها باهتمام وحين تكون القصة الشعرية لطيفة الحوار طريفة الأفكار تفعل بالعواطف الأعاجيب .

كهذه القصة الشعرية لبشارة الخوري (الأخطل الصغير)

هند وأمَّها

أتـــتْ هنُـــد يومـــاً إلـى أُمّهـا
فسبحـــان مـــن جَمَـــع النيّـــرين
فقـــالت لهـــا إن هـــذا الضُّحـــى
أتـــاني وقبّلـــني قبلتيـــنْ
وَفَـــرَّ ، فلمـــا رآنـــي الـدُّجى
حبـــانيَ مـــن شعـــره خُصْلتـــينْ
ومـــا خـــاف يـــا أمُّ بل ضمَّنـــي
وألقَـــى علـــى مَبْسِمي نجمتيْـــنْ
وذَوَّبَ مـــن لـــونه ســـائلاً
وكحَّلنـــي منـــه فـــي المقلتيْـــنْ
وجئـــتُ إلى الـــروض عنـــد الصَّباحِ
لأحجـــبَ نفســـى مـــن كـــلِّ عيْـــنْ
فنـــاداني الـــروضُ يـــا روضَتـــي
وهـــمَّ ليْفعَـــل كالأوَّليْـــنْ
فخبـــأتُ وجهـــي ولكنَّـــهُ
إلـــى الصـــدر يا أمُّ مـــدَّ اليديـــنْ
ويـــا دهشتـــي حيـــن فتَّحـــتُ عينـــي
فشـــاهدتُ فـــي الصـــدر رمّـــانتينْ
وكـــان علـــى غصنـــه وردتـــانِ
فقـــدَّم لـــي تَيْنِـــكَ الـــوردتين



ورحـــــت إلـــى البحـــر أشكـــو إليــه

فحّملــــــــني ويْحَــــــهُ مـــــوْجتين

هــــو البحـــرُ يـــا أمُّ كـــم مـــن فتىً

غـــــريقٍ وكم مـــــن فتـــىً بيـــنَ بيـنْ

فهـــا أنـــا أشكـــو إليـــك الجميـــع

فبـــالله يـــــا أمُّ مـــــاذا تـــــرَيْنْ

* * *

فقـــالت وقـــد ضحكـــــتْ أمُّهـــا

ومـــــاسَتْ مـــــن العُجْـــب في بردتينْ

عـــــرفتهـمـــو واحـــــــدا واحـــــــداً
وذقـــــتُ الــــــذى ذُقتِــــهِ مــــرّتينْ

وهذه قصة من ثلاثة أبيات لشوقي رحمه الله وهى من شوقيات الأطفال :

سقـــط الحمــــــارُ من السفينـــة في الدُّجى
فبكـــى الرفـــــاق لفقــــده وتــــرحمّوا
حتـــى إذا طلــــعَ الصَّبـــاح أتــت بِه
نَحْـــوَ السفينـــــة مـــــوجَةٌ تتقـدَّمُ
قـــالت خــــذوه كمــــا أتـــاني ســالماً
لـــم أَبْتِلعُــــه لأنَّـــه لا يُهضَــــمُ

ومن هذا القبيـل جميـع شوقيـات الأطفـال وكثـيرٌ من شعـر إيليـا أبي ماضي كقصيـدتـه (موت شاعر) (والتينة الحمقاء) وقصيدة (النسر) لعمر أبو ريشه (وتينة الجبل) لأحمد الصافي النجفي وهذه قصيدة ذات أسلوب قصصي رائع لنزار . ولو هدى الله نزاراً فأكثـر من مثـل هذه لكـان له شأن ، لكنه كأبي نواس أهدر طاقته الجباره في سبيل إبليس .

والقصيـدة التى نحن بصـددهـا بعنـوان (أندلسية) وهو يحكي قصة مرشدة إسبانيَّة في قصر الحمراء بغرناطة .

فـــي مَدْخــــل الحمـــــراء كـــان لقــاؤُنا
مــــا أطيـــــــبَ اللقيـــــا بــلا ميعــادِ
ســـــارتْ معـــــي والشَّعُـــــرِ يلهــث خلفها
كسنـــــابلٍ تُـــــركتْ بغيـــــر حصـــادِ
ومشيـــــتُ مثـــــلَ الطّفــــل خلــف دليلتـي
وورائــــــي التــــــاريخ كَـــوْمَ رمــادِ
قــــالت : هنــــا الحمـــــراء !! فخرُ جدودنا
فـــــاقرأ علــــــى جدرانهـــــا أمجـادي
أمجـــــادها ؟؟!!! ومسحــــــتُ جرحــــاً نازفاً
ومسحــــــتُ جرحــــاً ثانيــــاً بفــــؤادي

يــــاليت وارثتـــي الجميلــــة أدركـــتْ
أنَّ الـــــذين عَنْتُهَــــمُ أجــــدادي

ودَّعـــــت فيهـــــا عندمـــــا فــــارقتها
رجــــــلاً يُسَمَّـــــى طــــارقَ بن زيــادِ

وهـذه النماذج القصصية الممتازة قصيدة إيليا في البحث عن السَّعادة . حيث فتش عنها في كل مكان وأخيراً وجَدَها بعد رحلة من العناء الهائل . وهذه الأبيات ختام الرحلة :

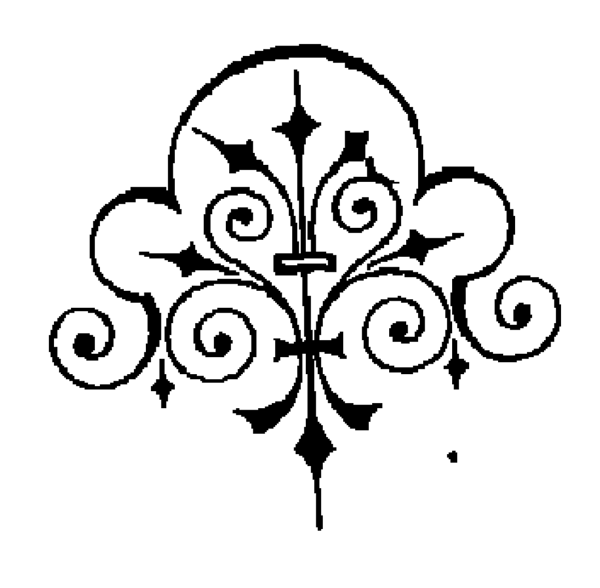
فتَّشْـــــتُ جَيْـــبَ الفجـــر عنها والدُّجى
ومـــــددتُ حتـــــى للكـــــواكبِ إصبعــــي

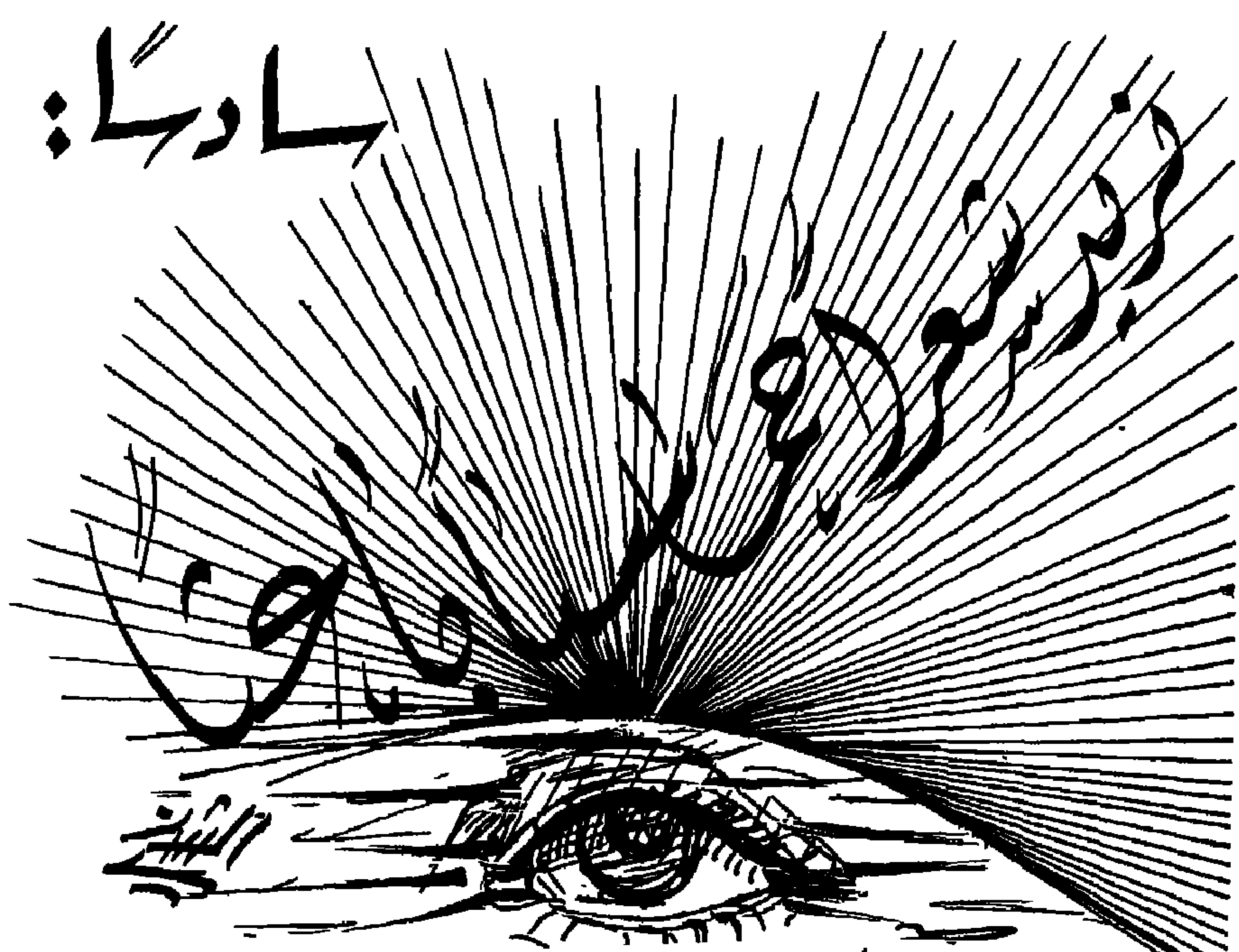
فـــــوَأدْتُ أفـــراحي وطلّقـــتُ المُنى
ونسخـــــتُ آيــــات الهـــوى مـــن أضلعي

حتـــــى إذا نشــــرَ القنـــوطُ ضبــابَه
فــــوقي وغيّبنـــــي وغيّـــب مـــوضعي

عصــــر الأســــى روحـــي فســـالت أدمعاً
فلمحتُهــــا ولمستهـــــا فـــي أدمُعــــي

وعلمــــتُ حيـــن العلـــمُ لا يجدى الفتى
أن التـــــى ضيَّعْتُهـــــا كـــــانت معــي





نريد قبل هذا كله وبعد هذا كلّه شعراً حماسيًّا جادًّا يوقد في عزائمنا جذوة الجهاد ويكشف من تحت أرجلنا ومن حولنا حبائل الفساد والإلحاد لا من ذلك الشعر الذى يسمى وطنيًّا وهو ادعاءات جوفاء . نريد شعراً كأنه المعالم المضيئة على طريق التضحيات ينير لنا منعطفات السبيل ويُشدُّنا إلى الكفاح الجليل .

كتلك القصائد الملهبة التى كنا نسمعها من حافظ ابراهيم ، وإبراهيم طوقان ، وخير الدين الزركلي ، والصافي ، والرصافي ، وعبدالرحيم محمود .

إن في ديوان إبراهيم طوقان رحمه الله قصائد وطنية هي سجلُّ تاريخ ، وهاتف بطولة ، وصَرْخة أمة ، منها قصيدة (الفدائي) وقصيدة (الشهيد) وقصيدة (الثلاثاء الحمراء) التى قالها غداة إعدام الشهداء الفلسطينين الزير وحجازى وجمجوم فطبقت في حينها العالم العربي :

لقد تنبأ إبراهيم رحمه الله بمصير فلسطين حين رأى بعينه ذلك التعاون المجرم الظالم بين سلاح بريطانيا وأموال اليهود مُنذ خمسين عاماً أو يزيد :

أمامَكَ أيها العَربيُّ شوطٌ
تشيبُ لهوله سودُ النواصي

فمـــــارَحبُ القصـــــور غــــداً ببـاقٍ

لأمّتنـــــا ولا ضِيـــــقُ الخصــــاص

مصيـــــرُك بـــات يَلْمسُــــه الأدانـــي

وســـــار حـــــديثه بيــــن الأقــــاصي

لنـــــا خصمـــــان ذو حــــول وطـــولٍ

وآخَـــــرُ ذو احتيـــــال واقتنـــــاص

تـــــواصوا بينهـــــم فغــــدا وبـــالاً

وإذلالاً لنــــــــا ذاك التـــــــــواصي

منـــــاهجُ للإبـــــادة واضحـــــاتٌ

وبالحسنـــــى تنفَّـــــذُ والرَّصـــــاصِ

ومن شعر إبراهيم في الرؤساء المزيفين والزعماء الخائنين :

كـــــم قـــــد أحطنـــــا خــــائناً

منهـــــم بهـــــالات القــــداسَهْ

ولكـــــم أضـــــاعَ حقوقنـــــا

الرَّجُـــــلُ المـــــوكّلُ بالحــراسهْ

واللــــــه ليـــــس هنــــــاك إلاَّ

كــــــلُّ قنـــــاص الريـــــاسهْ

تـــــأتيه مــــن بيــــع البـــلاد

ومــــــا لديـــــه مـــن الخســـاسهْ

وإذا اتقــــــاك فبــــالجـــرائد

والنخـــــــاسةِ والنجـــــــاسهْ

ويتهكم بالانجليز المجرمين الذين حرسوا إجرام اليهود في فلسطين ثلاثين عاماً لينفذّوا وعد بلفور فيقول :

قـــد شهدنـــا لعهـــدكم بالعـــدالهْ

وختمنــــا لجنــــدكم بالبســــالهْ

وعرفنـــــا منكـــــم صديقـــاً وفـــيًّا
كيـــف ننســـى انتـــدابه واحتـــلالَهْ
وخجلنـــــا مـــن لطفكـــم يـــوم قلتـم
وعـــدُ بلفـــور نـــافذٌ لا محـــالَهْ
كـــلُّ أفضـــالكم علـــى الرأس والعين
وليســـت فـــي حـــاجة لدِلالـــهْ
غيـــر أنَّ الطـــريقَ طـــالت علينـا
وعليكـــم فمـــا لنـــا والإطـــالهْ
اجـــلاءً عـــن البـــلاد تـــريدون
فنجلـــو أم سَحْقنـــاً والإزالَـــهْ

وفي المقطع الأول من اللوحة الفنيَّهْ يرسم إبراهيم صورة الشهيد مصنوعة من جوهـر الفـداء ومعدن الكرم . نعم إنَّ أكرم الكرماء من خَلقِ الله هو الشهيد لأنه جادَ بأغلى ما يُفتدى :

عبـــس الخطـــبُ فـــابتسمْ
وطغـــى الهـــول فـــاقتحمْ
رابـــطَ الجـــأش والنُّهـــى
ثـــابتَ القلـــب والقـــدَمْ
لـــم يبـــالِ الـــرَّدى ولـــم
يْثنـــهِ فـــاجعُ الألـــمْ
نفْسُـــه طـــوعُ همَّـــةٍ
وَجَمـــتْ دونهـــا الهمـــمْ
تلتقـــي فـــي مـــزاجها
بالأعـــاصير والحمـــمْ
تجمـــع الهـــائج الخِضَـــمَّ
إلـــى الـــراسخ الأشـــمّ

وهـــي مـــن عنصُــر الفــداءِ
ومــن جــوهر الكــرَمْ

ومــن الحــقِّ جــذوَة
لفحهُــا حــرَّرَ الأُمــمْ

وفي مطلع اللوحة الفنية التى رسمها إبراهيم للفدائي يصوّر إبراهيم الجوّ الرَّهيب الذي يكتنف رسالة الفدائي :

لا تســلْ عــن سلامتــهْ
روحــهُ فــوقَ راحتــهْ

يرقــبُ السَّــاعة التــى
بعدهــا هــولُ ســاعتهْ

شــاغلٌ فكــر مــن يــراه
بــإطــراقِ هــامتــهْ

بيــن جنبيــه خــافِقٌ
يتلظَّــى بغــايتــهْ

مــن رأى فحمــة الــدجى
أوقــدت مــن شــرارتهْ

حّملتــهُ جَهنَّــمٌ
قبســاً مــن رســالتهْ

فــادعى جــوف نــارها
أنهــا مــن جمــالتهْ

* * *

هــو بالبــاب واقــفُ
والــرَّدى منــه خــائفُ

فــاهدئي يــا عــواصفُ
خجــلاً مــن بســالتهْ

* * *

صـــــامتٌ لـــو تكلَّمـــــــا
لفـــــظ النـــــار والدَّمـــا

قـــل لمـــن عـــاب صمتَـــه
خُلِـــقَ الحـــزمُ أبكمـــا

وأخـــو الحـــزم لـــم تـــزلْ
يـــــدُه تسبـــــقُ الفمـــا

لا تلـــومـــــوه قـــــد رأى
منهـــجَ الـحـــقِّ مُظْلِـمَا

وبـــــــلاداً أحبَّهـــــــــا
ركنُهـــا قـــد تهدَّمـــا

وخصومـــــاً ببغيهــــــم
ضجّـــــت الأرض والسَّمــــا

يـــا فلسطيـــنُ شـــدّما
حمـــل الضيـــمَ شدَّمـــا

مـــرَّ حيـــن فكـــاد
يقتُلُـــه اليـــأس إنمـــا

* * *

هـــو بالبـــابِ واقـــفُ
والـــــرَّدى منـــه خـــائف

فـــاهدئي يـــا عـــواصفُ
خجـــلاً مـــن بســـالته

ومن نماذج الشعر الوطنيّ هذه اللوحة الرائعة التى رسمها الاستاذ عمر أبو ريشه للبلاد العربيّة الجميلة الحلوة المغرية تحيط بها الأنياب والخناجر وهي نائمة :

يـــا عروســـاً تنـــام مـــلء المحاجرْ
شيّعـــى الحُلْـــم والطيـــوفَ السَّواحرْ

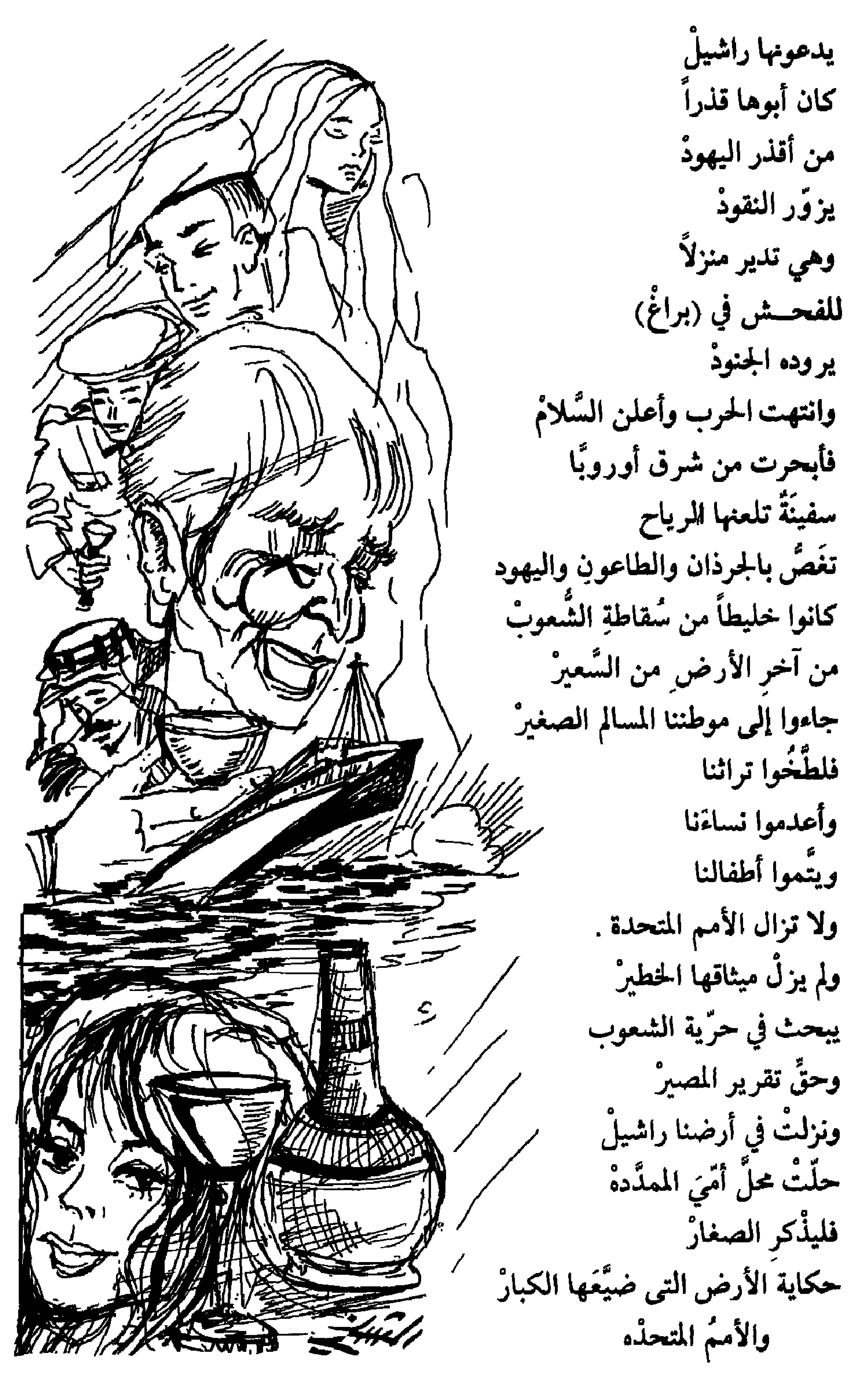
آن أنْ تفتحـــــى العيـــون إلى النّـور
وتُلقـــي علـــى الظـــلام السَّتـــائرْ
مـــا أرى عـــالَم الـــرُّؤى غير مـــأوى
لنفـــوس دارت عليهـــا الـــدوائـــرْ
انهضـــي فالصَّبـــاحُ يلمـــس خدَّيـكِ
وينســـابُ مـــن خـــلال الضفـــائرْ
وانظـــري كـــم هَفَـــتْ إليـك نيـوبٌ
وأحـــاطتْ بجـــانبيكِ خنـــاجرْ
إنَّـــه الحســـنُ كـــم يجـرُّ على الحسناء
شـــرًّا وكـــم يهيـــنُ حـــرائرْ
يـــا بـــلادي وأنـــتِ نهلـــةُ ظمـــآن
وشبَّـــابةٌ علـــى فـــم شـــاعرْ
كيـــف مـــالت بـــك الليـــالي وأودت
بالبقايـــا مـــن العهـــود الغـــوابرْ
مـــا حمَلْنـــا ذلَّ الحيـــاة وفي القـوس
نبـــالٌ أو فـــي الأكُـــفّ بواتـــرْ
يصفـــع الـــذئبُ جبهـــة الليـــث صفعاً
إن تـــلاشتْ أنيـــابه والأظـــافرْ

وقد استيقظ نزار قباني في صحوة لا بأس بها وإن لْم تكن راسخة على مبدأ بعد كارثة سبعة وستين فبدأ يشارك في الآم الوطن ومشكلات الضيَّاع ، وهذه قصيدة من مشاركاته وهي وإن كانت من الشعر الحرّ لكنها جديرة بالتقدير .

أكتبُ باختصارْ
قصة إرهابيةٍ مُجَنَّدهْ

---

(١) إنّ عالم الأحلام وهو النوم لا تلجأ إليه إلا النفوس الجبانة المنهزمة .



يدعونها راشيلْ
كان أبوها قذراً
من أقذر اليهودْ
يزوّر النقودْ
وهي تدير منزلاً
للفحــش في (براغْ)
يروده الجنودْ
وانتهت الحرب وأعلن السَّلامْ
فأبحرت من شرق أوروبَّا
سفينَةٌ تلعنها الرياح
تغَصُّ بالجرذان والطاعونِ واليهود
كانوا خليطاً من سُقاطةِ الشُّعوبْ
من آخرِ الأرضِ من السَّعيرْ
جاءوا إلى موطننا المسالم الصغيرْ
فلطَّخُوا تراثنا
وأعدموا نساءَنا
ويتَّموا أطفالنا
ولا تزال الأمم المتحدة .
ولم يزلْ ميثاقها الخطيرْ
يبحث في حرّية الشعوب
وحقِّ تقرير المصيرْ
ونزلتْ في أرضنا راشيلْ
حلّتْ محلَّ أمّيَ الممدَّدهْ
فليذْكرِ الصغارْ
حكايةَ الأرض التى ضيَّعَها الكبارْ
والأممُ المتحدْه

سابعاً: نريدُ شعراً يساهم في خدمة المجتمع



ونريدُ بعدُ شعراً لا يقف من مشكلات مجتمعنا وقفة الغبيّ المتفرِّج . بل يخوض فيها بعزيمة المصلح . نريد شعراً يَهْدى تطلعاتنا الحضارية ، ويرسم لنا مُثلَنا الأخلاقية والوطنية والدينيَّة . نريد من الشعر أن يقف من هذا كلّه موقف الجادّ المشارك الذي تَشدُّه خدمة مجتمعه وتؤثر فيه الآمه وآماله . نريده باعثاً لروح المواطنة المخلصة المؤمنة العاملة .

والحقيقة التى تثـ ـ الغضب والاشمئزاز أن كثيراً من شعرائنا في واد وحقوقُ أوطانهم في واد آخر إذا صاح الوطن من ظلم الأعداء سرحوا في أساطير اليونان وإذا اشتكى الوطن ـ تفرُّقَ الأهواء وتصدُّع الشمل حدثك الشاعر عن مصارعة الثيران في المسرح الروماني . لأن عدداً كبيراً من شعرائنا مشغول عن وطنه بأهوائه وعن أخلاقه بنزواته وعن واقعه بمغامراته . وبينما مجتمعنا المسلم ضائع في هباء ضعفه إذا كثير من شعرائنا يعيشون في أبراجهم العاجّية يطلُّون منها على مروج الخرافات اليونانية والرومانية والفرعونية ويلهُون فيها مع الوثنية الحمقاء

حيث الآلهة إيزيس وأوزيريس وبروميثيوس الذى أنقذ البشرية من غضب زيوس ربّ الأربــاب كما يقـول البيـاتي زعيم شعـراء الحـداثـة الـذى اتخـذ من خرافـة بروميثيوس محوراً لقصيدة تعسة من شعره عنوانها (سيرة ذاتية لسارق النار) .

لقـد ساهم شُعـراؤنـا قديـماً في بنـاء المجتمع وإصلاحه والخوض الرجُوليّ في مشكـلاتـه فهـذا أبـو العلاء يعالج زواج الشيخ الهرم من الكاعب الحسناء يبيعها أبـوهـا للشيطـان بالعَرَض الأدنى فتكون في هذا فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير يقول حكيم المعرَّة :

بــاد شيبُـــه مثَـــل النهـار ولـم يكُنْ
يُشَـــابِهُ فجــــراً أو نجـــومَ ظـــلامِ
يحدّثُهـــا مـــالا تـــريدُ استمـــاعَهُ
ولـــم يبـــقَ عنـــد الشيـــخ غيرُ كلامِ
تقـــول لـــه فـــي النفـــس غيـرَ مُبينَةٍ
خُــذ المهـــرَ منـــى وارتحـــلْ بســلامِ
تـــودُّ لـــو آنَّ الله يُعطيـــه صَعْقـــةً
ليرزقَهـــا مـــن بعـــده بُغـــلامِ

ويقول القاضي الجليس من شعراء الفاطميين يعالج مشكلة الأطبَّاء الأدعياء الذين يضُرُّون المرضى بالجهل والتخبط والشعوذة :

طبيـــبٌ طبـــهُ كغُـــراب بيْـــنٍ
يُفـــرِّقُ بيـــن عـــافيتى وبينـــي
أتَـــى الحُمـــيّ وقـــد شاختْ وباختْ
فـــردّ لهـــا الشبـــاَب بـــوصفتين
وكـــانت نوبَـــةً فـــي كـــلِّ يـومٍ
فصيـــــرَّها بحـــــذقٍ مـــرتينِ

ويقول أبو الطيب حين رأى أقاليم الدولة العباسية تحت حكم العبيد :

بكـــلِّ أرض وطئتُهـــا أمـــمٌ
تُـــرعى بعبـــدٍ كـــأنها غَنَـــمُ

يستخشِنُ الخزَّ حين يلمسُه
وكانُ يُبري بظفره القلمُ

ومن هذا الصّنف قول ابراهيم بن نصر الموصلي ينتقد رقص المتصوفين بعد أن يملئوا بطونهم من اللحم والثّريد :

متى سمع الناسُ في دينهمْ
بأن الغِنا سُنَّةٌ تُتَّبَعْ

وأنْ يأكلَ المرءُ أكلَ البعيرَ
ويَرُقصَ في الجمع حتى يَقَعْ

وقالوا سكرْنا بحبِّ الإلهِ
وما أَسْكرَ القومَ إلا القصَعْ

كذاك الحميرُ إذا أخصبتْ
تَنَاهَقُ من ريِّها والشّبَعْ

ويصفُ دعبل ما آلت إليه حال الخلفاء العباسيين في عصور الضعف حين تصرَّف في رقابهم ومصائرهم خدم القصر فكانوا يَسْمِلونَ أعينهم كما فعلوا بالخليفة القاهر :

خليفةٌ مات لم يحزَنْ له أحَدُ
وآخرٌ قام لم يفرحْ له أحدُ

فمَّر هذا وكان الشُّؤمُ يتبَعُه
وقام هذا فقام الويلُ والنّكدُ

وفي قلة الوفاء وندرة الأصدقاء الصادقين يقول صفي الدين الحلِّي :

لما رأيتُ الأصدقاء ولم أجدْ
خِلًّا وفيًّا للشدائد أصطفي

أيقنتُ أن المستحيل ثلاثةٌ
الغول والعنقاءُ والخِلُّ الوفي

وفي التناقضات الاجتماعية يقول الشاعر الأمير عليُّ بن المقرَّب من قصيدة كأنها الصَّرخة المدوّية :

أو ليـــس عـــاراً أن تُسِيـــمَ بَمـرتعٍ
أكلـــتْ بـــه المعِــزَى لحومَ رُعاتِهَا
صـــوّتْتُ حيـــن دعـــوتُ إلا أنَّـــهُ
لا يبلـــغُ الأمـــواتَ صـــوتُ دعـــاتِهَا
فـــارغبْ بنفســـك أن تقيـــم ببلـــدةٍ
عصفورُهــــا يسطـــو بشُهـــبِ بُزاتِهـــا
هـــوِّنْ فقومُـــك يـــا عليُّ حيـــاتُها
كممـــــاتها ومَـــاتُها كحيـــــاتها

ولصفي الدين الحلّي قصيدةٌ كانت بركةً على منطقة ماردين وقد نظمها الشاعرُ حينَ سرِق بيتهُ وأحسّ أثناء التحقيق أنَّ الشرطة ضالعون مع اللصوص وقد رفع الشاعر القصيدة إلى السُّلطان فتدخل بنفسه وألقَى القبضَ على اللصوص ومن يظاهرونهم من الشرطة والقصيدة طويلة في ديوان الشعر يقول منها :

خطـــبٌ لســـانُ الحـــال فيه أبْكم
وهـــوىً طريـــقُ الحـــقِّ فيه مظلمُ
إن كنـــت لا تـــدرى فتلـــك مصيبـــةٌ
أو كنـــت تـــدرى فالمصيبـــةُ أعظـمُ
أيليـــقُ أن تخفـــى عليـــك قضيَّتـــي
وبطـــونُ عذْنـــانٍ بهـــا تتكلـــمُ
الله يحـــــرسُ مـــــاردين فـــإنها
بلـــدٌ يصـــول بـــه الغريبُ ويحكمُ
بَلَـــدٌ به يسطـــو على الليـــث الطَّلا
ويعبـــث في غـــاب الأســـود الأرقـمُ

ويمضي الشاعر إلى أن يقول في ختامها :

إن كـــان تعطيـــل الحـــدود لـــرحمة
فـــالله أرأف بـــالعبـــاد وأرحـــمُ

هــــذه القضيــــــة للمفكــــر عبـــرة
والله أولـــــى بالعبـــــاد وأعلـــــمُ

وفي فترة من فترات الـدولـة العبـاسية كثر الشعارير وفسدت روح النقد فقال إبراهيم الغزّي يصف ذلك الوضع :

ومـــن الحـــــدائدِ وهـــي أصلٌ واحدٌ
سيـــفُ الشجـــاع ومبضـــع الفَصَّادِ
مـــا كثـــرةُ الشعـــراء إلا عِلَّـــة
مشتَقَّـــةٌ من قِلَّـــة النُّقـــادِ

وهذا الأستاذ مارون عبُّود شاعر لبناني فيه إنصاف وقد أخبرني بعضُ من عرفه أنَّ الرجل كان مسلماً بقلبه . هذا الشاعر رأى العصبية الطائفية تملأ قلوب الجهلة قيحاً وبغضاً وفرقةً فسمى الشاعر ابنه محّمداً اعترافاً بفضل الرسول الكريم ولفتَ نظرٍ للمتعصبين أن ينظروا إلى تاريخهم . وفي هذا يقول الأستاذ مارون :

عشـــــتَ يـــاَبْني عشــت أغلـــى صبـــيّ
ولدْتـــــهُ أمُّـــــه فـــي رجَـــب
خفِّـــف الـــــدهشةَ واخشـــع أن تَـــرَىَ
إبـــنَ مـــارونَ سميًّـــا للنبـــيَ
فالنبـــيُّ العـــربيُّ المصطفـــى
رحمـــة الدنيـــا وفخـــر العـــربِ

وأحياناً ترى الشاعر جريئاً يخرج في نقده على حدود الخوف ويلجأ إلى صراحة قد ترديـه فهـذا شاعـرٌ مغامر اسمه الأحيمر السّعدي يهجو والياً على العراق كان مشهوراً بالبخل :

وقـــد ســـاءني أنَّ الحمـــار ابـن جندلٍ
علـــيَّ بـــأطراف العـــراقِ أميـــرُ
وأن أســـأل العبـــد البخيـــل بعيـــره
وبُعـــرانُ ربـــيّ فـي البـــلاد كثيـــر

عـــويَ الـــذئب فاستـــأنست بالـذئب إذ عوى
وصَـــوَّتَ إنســـانٌ فكـــدت أطيـــرُ

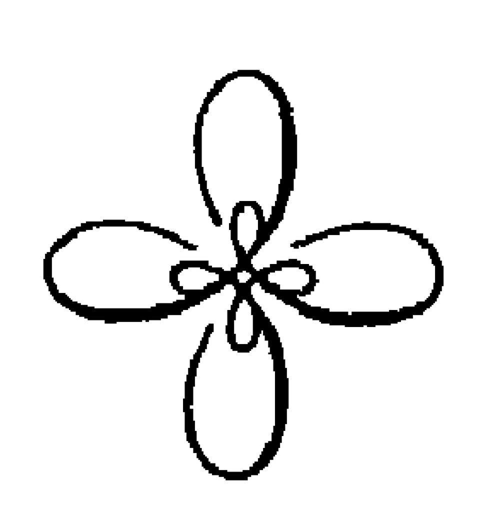
وَللقـاضي عبـدالـوهـاب البغـدادي ينكـر أن يقبـع الشرفاء في عزلتهم فتخلو الساحة للأسافل :

وإنَّ تَـــرفعَ الحقـــراءِ يومـــاً
علـــى الشُّرفـــاءِ مـــن عِظم البلايـا
إذا استـــوت الأســـافل والأعـــالي
فقـــد طـــابت منـــادَمةُ المنـــايَا
ومـــن يثنـــي الأصـــاغَر عـــن فســادٍ
إذا قبـــع الأكـــابرُ فـــي الـــزَّوايا

ومن طريف الشعـر الاجتـماعي ما قالـه أبـو الحسن العكـبري يصف مجتمعه الذي فسدت فيه طريقة الاغنياء :

رأيـــتُ في النـــوم دنيـــانا مـزخرفةً
مِثْـــلَ العـــروسِ تراها في المـقاصيرِ
فقلـــتُ جودي لنـــا قـــالت على عجـــلٍ
إذا تخَلَّصـــتُ مـــن أيـــدى الخنازيـــرِ

وإذا أردت المزيد من الشعر الاجتماعى فعليك بديوان معروف الرصافي وحافظ ابراهيم وإيليا أبي ماضي وأحمد محرم وشوقي رحمهم الله . لقد كانوا يخوضون في شعـرهم مشكـلات المجتمـع كأحـوال الأرامـل والأيتام والفقراء عموماً بأسلوب قصصي يستثـير عنـاصـر وصنـائـع المعـروف فيؤتي شعرهم أُكُلًا طيباً من البذل والرحمة والعواطف النبيلة .





ونتطلع في الختام إلى شعر لا يهدم الشخصية الموسيقية الناضجة التى يتمتع بها شعرنا الحلو الجميل الرائع . ولقد أتيحت لي فرصةٌ لدراسة موسيقى الشعر الانجليزي فوجدت له وزنين رئيسيين الوزن الأول مقطع مضغوط يليه مقطع غير مضغوط والـوزن الثـاني عكسـه مقطـع غير مضغوط يليه مقطع مضغوط هذا قبل أن جاء الشعر الحرّ في هذه الأيّام فقضى على وزن الشعر الانجليزي . أمّا شعرنا العربي فإن له من الأوزان ما لا يقل خمسين وزناً بين تامّ ومجزوء ومخلّع .

والعجيب أن شعراء الحداثة حين أرادوا أن يطوِّروا شعرنا ويجددوه ويستفيدوا

من الشعر الغربي بدءوا حداثتهم وتجديدهم بهدم الموسيقى وبدلاً من أن يطعّم الأجانب شعرهم بروعة موسيقانا قمنا نحنُ باقتباس موسيقاهم المحدودة وتخلّينا عن موسيقانا الناضجة وتلك لعمر الحق من الحماقة لأن المقتبس الذكي يحرص أن يقتبس ما يتمم نقصه لا أن يقتبس ما ينُقص كماله .

وأهل الذوق من عشاق الشعر العربي لا يرفضون من شعر الحداثة ما يتصرّف في أوزان الخليل وفي قوافي القصيد فيلجئون إلى رباعيات أو موشحات تتنوع فيها الأوزان وتتعدد فيها القوافي بحيث تظلُّ لشعرنا محاسنه الموسيقية وتزول عنه الرّتابة المملة وذلك كما فعل الاندلسيون حين نوَّعوا القوافي في موشحاتهم دون أن يهدموا شخصية موسيقاهم .

لكنَّ أهل الذوق الذين لا يرفضون شعر الحداثة الملتزم بالتفعيلة يمتقون أشدَّ المقت اسماً كريهاً متناقصاً هو (القصيدة النثرية) إذ كيف تكون قصيدة وتكون نثراً إن القصيدة هي وحدة الشعر فكيف يتلاعب صبيان الحداثة بعقولنا ؟ لنقبل المتناقضات .

إن الكلام العربي طول عصوره إمَّا شعر وإما نثر وليس هنالك نثر مشعورَ ولا شعر منثور . وجميع كُتّاب القصائد النثرية هم كُتاب نثر وما يضرهم هذه التسمية لأن الأدب العربي يحتاج إلى شعراءَ وكتاب وخيرٌ لأهل القصيدة النثرية إذاً آنسوا من أنفسهم أسلوباً نثريًّا مكتمل العناصر الفنية أن يعلنوا أنهم كتاب فذلك يفيدهم ويرسم لهم طريق الإبداع والتخصص . ولكنني متأكد أنهم لن يوافقوا أن ينضَمُّوا إلى صفوف الكتاب وذلك لسبب معروف وهو أنهم ليسوا شعراء ولا كُتاباً . ولو أنهم قدروا مواهبهم حقَّ قدرها لاشتغلوا بغير الأدب والحرف بفضل الله كثيرة .

وإذا كان أدونيس يريد أن يخدع الحداثيين ويقول لهم (إن سورة مريم هي قصيدة نثرية) فإن قبول كلام هذا كفر بالقرآن الكريم لأن ربّنا جلّ جلاله نفى أن يكون القرآن شعراً وما ناقش هذا القول ولا جادل فيه أيُّ عارف بالأدب من عصر النبوَّة إلى الآن .

وهـذه نماذج من المـوشحـات الأنـدلسيـة تنـوعت فيهـا الأوزان والقوافي لكنها احتفظت بغنـائيتهـا ولم تخرج عن شاعـريتهـا لأن فيها خصائص الشعر المتعارف عليهـا من الأوزان والقـوافي يجملهـا تنـوع لطيف . إن بعض شعـراء الموشحات ابتكـروا أوزانـاً جديـدة ليست من أوزان الخليـل فلم يُنكـرَ عليهم ذلك . كقول أحدهم من موشح معروف :

هل تستعادْ أيامنا بالخليـــجْ ولياليـنا
أو يستفادْ من النسيم الأريـــجْ مسك دارينا
وادٍ يكادْ حسن المكان البهيجْ أن يحيِّينا إلى آخر الموشح

وسيلاحظ القارىء أن في أوزانها خروجاً غير قليل على بحور الخليل ، وهذا نموذج من موشح أندلسي للأعمى التطيلي :

ضـــاحكٌ عـــنْ جمـــانْ ســـافرٌ عـــن بـــدرِ
ضـــاقَ عنـــه الزَّمانْ وحـــواه صــــــدري

آه ممـــا أجـدْ
شفَّنـــي ما أجـدْ
قـــام بي وقَعَـدْ
ظالـــمٌ متئـــدْ
كلمـــا قلـتُ قَدْ
قـال لي أين قَدْ ؟

وانثنـــى غُصـــنَ بانْ ذا مَهـــزٍّ نَضْـــرِ
داعَـــبَتْهُ يـــدانْ بالنَّـــدى والقَطْـرِ

ومن الموشح الشهير المنسوب لعبدالله بن المعتز ولابن زهر والذى مطلعه :

أيهـــا السَّـــاقي إليـكَ المشتكـى قـــد دعونـــاكَ وإن لـــم تسمـــعِ

ليـــس لي صبـــرٌ ولا لي جلَـدُ
يـــا لَقَـــوْمي عَـــذَلوا واجتهدوا
أنكـــروا شكـــوايَ ممـــا أجـــدُ

مثـــلُ حـــالي حقُّــهُ أن يُشْتكى   كمــــدُ اليــــأس وذلُّ الطمــــعِ

كبــدٌ حَــــرَّى ودمــعٌ يَكــفُ

يــذرف الدمــــعَ فــلا ينـــذرفُ

أيُّهـــا المعــــرضُ عمّـــا أَصِفُ

قـــد نمــــا حبّــــي بقلبــــي وزكا   لا تقـــل في الحــبّ أنــي مُدَّعــي

وما أجمل ذلك الموشح الشهير الذي طبقت شهرته الآفاق وهو للسان الدين بن الخطيب الأندلسي الذي يقول في مطلعه :

جـــادك الغيــــثُ إذا الغيــــثُ همــى

يــــا زمــــانَ الـــوصْلِ بالأندلــــس

لـــم يكــــنْ وصْلُــــكَ إلاَّ حُلمَــــا

فـــي الكــــرى أو خُلْسَــــةَ المختلـسِ

إذ يقــــودُ الدَّهــــرُ أشتــات المُنَى

تَنْقُــــل الخطَــــو علــى مــا نرسِمُ

زُمــــراً بيــــن فُــــرادي وثُنــــا

مثلمــــا يدعــــو الوفــــودَ المــــوسم

والحيــــاَ قــــد جلّــــل الــــروضَ سَنَــا

فثغــــــور الــــزهرِ منــــه تبسِــــمُ

* * *

وروَى النُّعمــــان عــــن مــــاءِ السَّمــا

كيــــف يــــروي مالــــكٌ عــــن أنَــسِ

فكســــاه الحســــنُ ثوبــــاً مُعْلَمــا

يــــزدهــــي منــــه بــــأبهي ملبَــــسِ

ومنها قوله يخاطبُ أحبَّاءَه :

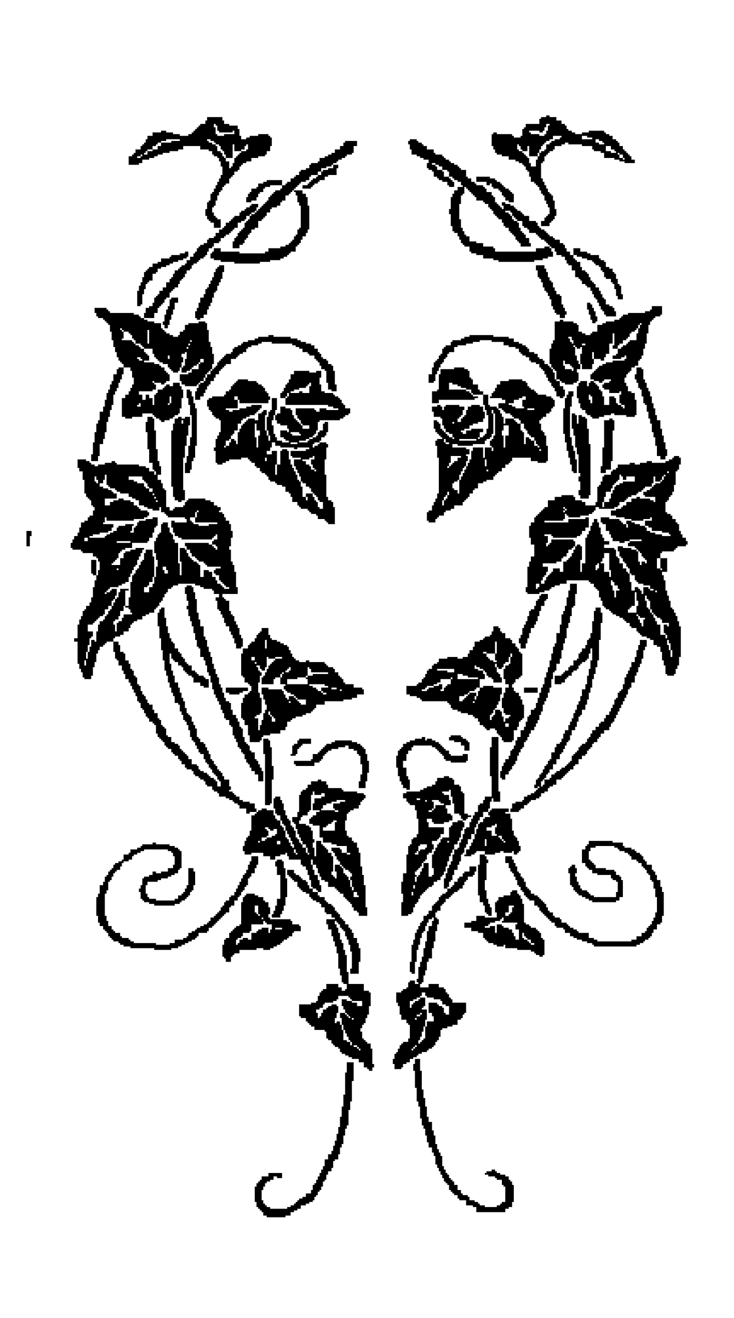
وبقلبــــي منكــــمُ مقتــــرَبُ

بــــأحاديث المُنَــــى وهــــو بعيــــدْ

قمـــرٌ أطْلَـــع منـــه المغـــرِبُ
شِقْـــوةَ المضْنَـــى بـــه وهو سعيـــدْ
قـــد تســـاوَى محســـنٌ أو مـــذنبُ
فـــي هـــواهُ بيـــن وعـــد ووعيـــدْ

* * *

فـــاحمُ الجمَّـــةِ معســـولُ اللَّـــمى
جـــالَ فـــي النَّفْـــسِ مجالَ النَّفَسِ
ســـدَّد السَّهـــم وسمّـــى ورمـــى
ففـــؤادي نُهـــبةِ المفُتـــرسِ





الخاتمة

لابُد لي أن أختم هذا الكتاب بتحذيرين أولهما : من شعر الحداثة الذي يقطع صلته بالأصالة . والثاني : من مقاييس النقد الأوروبي التى نجترُّها دونما تصفية أو تمحيص فقدْ يَرَوْنَ حسناً عندهم ما يكون قبيحاً عندنا .

لقد تفرقت مذاهب الغرب النقدية بمقدار ما ضاعت نظراتهم الاجتماعية ولهذا جاءت بعض مذاهبهم الأدبيَّة كافرة ملحدة . أفنقتبسها على إلحادها لتشوِّه الوجه الصبيح لأدبنا المؤدَّب ؟!

إن شعرنا سيظل بإذن الله أصيلاً مؤدبا رائع اللحن عذب الإيقاع مهما تآمر عليه أعداء الإسلام وإن مجتمعنا بإذن الله سيظل إسلامياً .

هنالك دعاءٌ مأثور من ضمنه خطاب لله جلّ جلاله يقول (ونخلعُ ونترك من يفُجرك) والآن وبعد أن كشفت الحجبُ البشعة عن وجوه ملحدة تتربص بنا دوائر السُّوء أن يُخلع أولئك الفجرة ويُكفروا بضم الياء . لتظَلَّ لنا شخصَّيتنا المتميزة بالإيمان وتظل لأدبنا شخصيته المتميزة بالأدب .

(وبعد) فهل لي أن أتقدم في أدب وتحفُّظ وحبٍّ وأبوّة إلى أبنائنا من شعراء الحداثة أن يحافظوا على شخصية أدبنا وحمى شعرنا وحرم تراثنا . وألا يبيحوه لكل دخيل حتى لا تتلوث رحابة الجميلة الحبيبة الوضيئة بالمستوردات الآسنة الوبيئة . وحتى لا ينتقل العبث إلى أصول لغتنا وإعجاز قرآننا وحتى لا ترخص قيمة الأدب العربي فيسومه كل مفلس ويُركضُ في حلبته كل هزيل .

إن دواوين القصيدة النثرية التى لا أثر فيها لتفعيلة ولا وزن ولا قافية قد فُرضت على وسطنا الأدبي الوضيء منذ أكثر من خمسين عاماً فلم يستسغها أدبنا ولا أدباؤنا ولا القرّاء والمثقفون . وحسبك بهذا دليلاً على إفلاسها وخيبتها .

أمّا كُتّاب القصيدة النثرية فقد آن الأوان أن يدركوا أنهم ليسوا شعراء وأن عليهم أن ينسحبوا من حلبة الشعر التى لم يُيسَّروا لها وكُلٌّ مُيَسرٌ لما خُلق له ولعلّهم يجدون أويكتشفون مواهبهم في النثر . وأما شعراء التفعيلة فإن في ساحة الشعر متسعاً لهم بشرط واحد وهو أن نلمس من واقع شعرهم أنهم عربٌ مسلمون ومواطنون صالحون .

هذا ولقائل أن يقول إن كثيراً من النقد في هذا الكتاب مقاتلة وخصام ثم إنك قد أكثرت فيه من الشواهد الشعرية وأقول إنه لا يخلو من مقاتلة لكنها مقاتلة تنبعث من نّية الإصلاح . أما كثرة الشواهد فقد تعمّدتها لأنسي القارىء طول الرحلة وأسلّيه بحداء البلاغة الممتعه . بعد أن طغت عليها في هذه الأيام رطانة الشعر النثري .

وفي الختام أسأل الله أن يعصمنا وأمّتنا من زيغ العقول وقيادة الجهول وأن يعيذ أدبنا القرآني الحبيب من حبائل الشياطين وإيحاء المضلّين والمنافقين والملحدين ومؤامرات الحاقدين والخائنين . وأن يحفظ على أمتنا لغتها القرآنية لتسهّل

وحدتها وتسير تفاهمها وأن يهدي أمّتنا رشدها ويمهّد لها طريق مجدها لتظل كما شاء الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

وصلّى الله على محمد أفصح العرب لساناً وأحلاهم منطقاً وبياناً .

تم الكتاب بحمد الله في ١ / ربيع الأوّل ١٤٠٦هـ



● ● ●

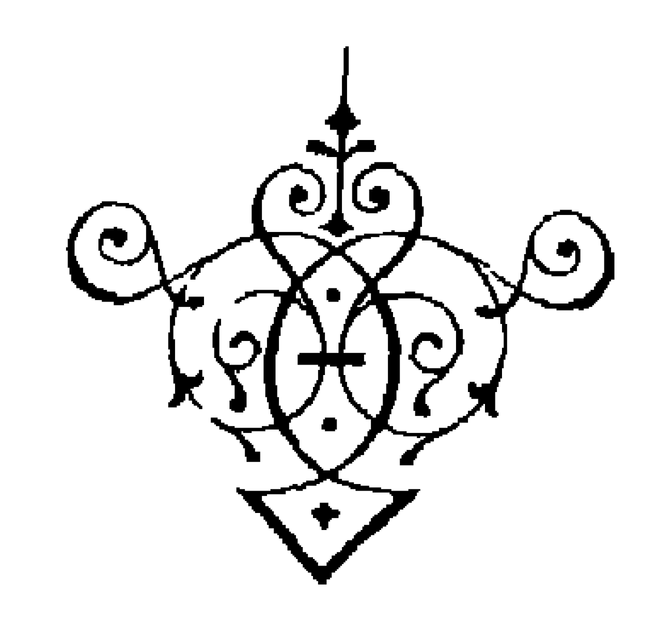
مطبوعات نادي الطائف الأدبي

١	سوق عكاظ في التاريخ والأدب	إعداد لجنة الآثار التاريخية بنادي الطائف الأدبي
٢	البحث عن ابتسامة	محمد المنصور الشقحاء
٣	لكل مثل قصة	مناحي ضاوي القثامي
٤	شبه الجزيرة العربية تهدى الحكمة للعالم (محاضرة)	حمد الزيد
٥	مسيكينة	سعد الثوعي الغامدي
٦	رحلة العمر	علي حسين الفيفي
٧	هل للشعر مكان في القرن العشرين (محاضرة)	د. غازى القصيبي
٨	خطرات في الأدب والفلسفة	حمد الزيد
٩	فلسفة الاسلام	هشام ناظر
١٠	معانـــــاة	محمد منصور الشقحاء
١١	المضيفـات والممـرضـات في الشعـر العربي المعاصر (محاضرة)	عبد الرحمن المعمر
١٢	ملف نادي الطائف الأدبي الأول	اعداد النادي
١٣	أجنحة بلا ريش	حسين سرحان
١٤	نظرات في الأدب والتاريخ والأنساب	علي حسن العبادى
١٥	رجل على الرصيف	عبد الله سعيد جمعان
١٦	صور من الحياة والمجتمع	علي خضران القرني
١٧	ذكريات	أحمد علي
١٨	خواطر في التنمية (محاضرة)	د. غازي القصيبي
١٩	حديث في الاعلام (محاضرة)	د. محمد عبده يماني
٢٠	البيت أولاً (محاضرة)	هشام ناظر

الرقم	العنوان	المؤلف
٢١	جوانب صحية في التشريع الإسلامي (محاضرة)	حمد الدعيج
٢٢	المحراب المهجور	ابراهيم الزيد
٢٣	كتاب القصة الأول	محمد منصور الشقحاء (كتاب دورى)
٢٤	مقالات في الأدب (١)	اعداد النادي (كتاب دورى)
٢٥	عذراء المنفى	ابراهيم الناصر
٢٦	نشر النور والزهر جـ ١ ، ٢	محمد سعيد العامودي واحمد علي
٢٧	ملف نادي الطائف الأدبي (الثاني)	اعداد النادي
٢٨	معجم معالم الحجاز جـ (١)	عاتق بن غيث البلادي
٢٩	مذكرات في الخط العربي	جلال أمين صالح
٣٠	في الأدب والحرب	حسين سرحان
٣١	أهازيج	محمد ابراهيم جدع
٣٢	نافذة هلى الحائط المهدوم	هند صالح باغفار
٣٣	الطائف (محاضرة)	عبد القدوس الأنصاري
٣٤	حكاية حب ساذجة	محمد المنصور الشقحاء
٣٥	الرواد الثلاثة	عبد الله الخياط
٣٦	كتاب القصة (الثاني)	محمد المنصور الشقحاء
٣٧	من حديث الكتب	محمد سعيد العامودي
٣٨	مقالات في الأدب (٢)	اعداد النادي
٣٩	دريد بن الصمة	مناحي ضاوي القثامي
٤٠	الوان من الأدب جـ (١)	شعبان جبريل عبد العال
٤١	هتاف الحياة	عبد الله جبر
٤٢	كنز الأنساب ومجمع الآداب	حمد الحقيل
٤٣	القصاص	عبد الله سعيد جمعان
٤٤	معجزة القرآن الكريم البيانية (محاضرة)	د. حسن محمد باجوده

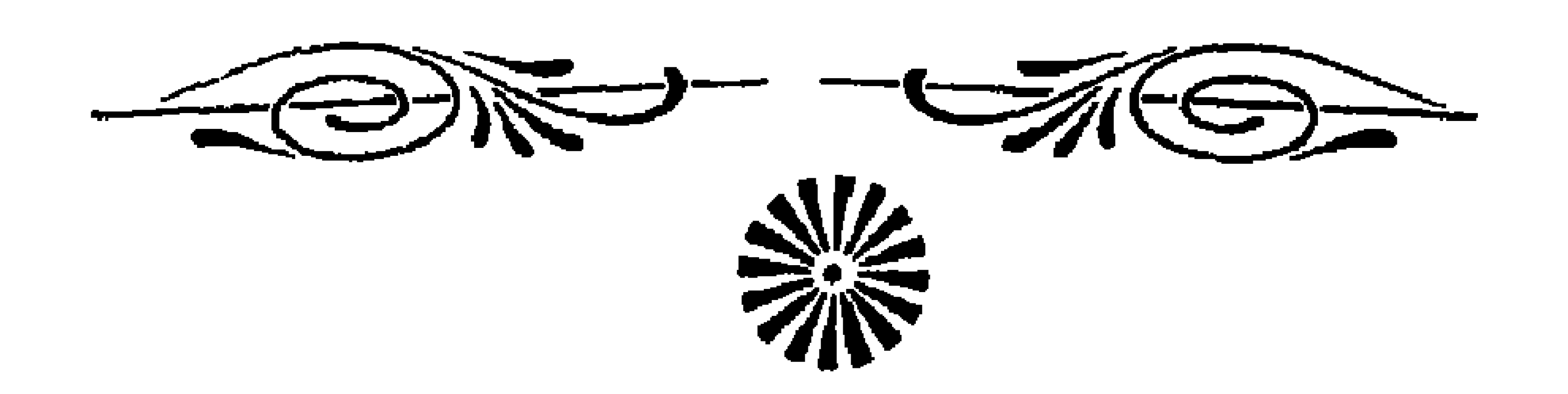
٤٥	الصمت والجدران	سباعي احمد عثمان
٤٦	حين ينزف الأفق	اصلاح سهيل
٤٧	كتاب الشعر (الأول)	علي حسن العبادى ، محمد منصور الشقحاء
٤٨	الطائر الغريب	حسين سرحان
٤٩	ملف نادي الطائف الأدبي (الثالث)	اعداد النادي
٥٠	كتاب القصة (الثالث)	محمد منصور الشقحاء
٥١	علم العروض	د. عبد الهادي الفضلي
٥٢	أحيحه بن الجلاح الأوسي	د. حسن باجوده
٥٣	المسحوق	محمد حمد الصويغ
٥٤	سوق الخميس	خليل ابراهيم الفزيع
٥٥	الموسوعة الأدبية جـ (٣)	عبد السلام طاهر الساسي
٥٦	ترانيم الصباح	عبد السلام هاشم حافظ
٥٧	في موكب الأبطال	علي حسين عويضه
٥٨	أغنية الشمس	ابراهيم الزيد
٥٩	دعونا نمشي	أحمد السباعي
٦٠	كلمات حب الى المدينة المنورة	عبد السلام هاشم حافظ
٦١	أبو الشمقمق	د. محمد سعد الشويعر
٦٢	تأملات في الفكر والمجتمع	عبد الله بوقرى
٦٣	الأحاجي والألغاز الأدبية ط ٢	عبد الحى كمال
٦٤	حنين	علي صالح الغامدي
٦٥	تذكرة عبور	عبد الله سعيد جمعان
٦٦	أزهار	علي حسين الفيفي
٦٧	جراح الليل	د. ابراهيم الزيد
٦٨	أوراق مطوية	أحمد السباعي
٦٩	شعراء الحجاز ط ٢	عبد السلام طاهر الساسي

٧٠	ابن الطراوة النحوي	د. عياد عيد الثبيتي
٧١	لكل مثل قصة (٢)	مناحي ضاوي القثامي
٧٢	لا ليلك ليلي ولا أنت أنا	عبد العزيز الصقعبي
٧٣	تحفة اللطائف في فضائل ابن عباس ووج الطائف لابن فهد	ت : محمد الشقحاء ومحمد سعيد كمال
٧٤	المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب	تحقيق د. ابراهيم الزيد
٧٥	الحب الكبير	حسن ناصر المجرشي
٧٦	رسائل الى نازك	سعد البواردي
٧٧	بهجة المهج للميورقي	تحقيق د. ابراهيم الزيد
٧٨	ملف نادي الطائف الأدبي (٤) (٥)	اعداد النادي
٧٩	الزهور الصفراء	محمد المنصور الشقحاء
٨٠	الفنون الصغرى	ابو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري
٨١	المبالغة في البلاغة العربية	عالى سرحان القرشى
٨٢	رحلة إلى الغرب	الشيخ احمد علي
٨٣	شعراء ثقيف في العصر الأموى	عيضه عبد الغفور السواط
٨٤	ملف النادي السادس	لجنة الملف بالنادي
٨٥	زائـر الأمـس	علي حسين الفيفي
٨٦	نشر اللطائف في قطر الطائف	تحقيق : عثمان محمود حسين الصيني



الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمـــة	٣
البـــاب الأول	
خلفياتٌ حداثية	٥
١ ـ حداثة أم تقليد	٦
٢ ـ بدر شاكر السّياب	١٠
٣ ـ تعـــدّى الحـــدود	١٥
٤ ـ بين حجازى ودنقل	١٩
٥ ـ نماذج مشبوهة	٢٢
٦ ـ تخريب النقد	٢٧
٧ ـ حول البنيوية	٣٠
الباب الثاني	
عناصر الشخصية في أدبنا	٣٦
أولاً : النضوج الموسيقي	٣٧
ثانياً : اقترانه بالحكمة والأخلاق	٣٩
ثالثاً : المستوى الراقي للشكل	٤٤
رابعاً : تنوع الأغراض والموضوعات	٤٨
خامساً : الصدقُ العاطفي المَصوَّر	٥٣
الباب الثالث	
الشعر الذي نتطلع إليه	٥٦
١ ـ القادر على التأثير	٥٧




المطبعة الأهلية للأوفست
الطائف



تصميم وتنفيذ المطبعة الاهلية للأوفست